جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ و الاثار

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس الاول :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

تطور نوميديا بين موت ماسينيسا و انتحار يوبا الأول (148 – 46 ق.م)

مملكة نوميديا بعد موت ماسينيسا :

- الصراع على العرش :

في سنة 148 ق.م وخلال الحرب البونية الثالثة انتقل ماسينيسا إلى عالم الأموات بعد أزيد من نصف قرن من الحكم تمكن خلاله من تغيير وجه الخريطة السياسية لنوميديا التي امتدت في عهده من وادي الملوية إلى معابد فينوس شرقا بوفاة ماسينيسا خلفه أبناؤه الثلاثة مكيبسا (Micipsa) (MKW'SW) غلوسة (Gulussa-G'I'SW) مصطنبعل (M'STN'BL) الذين وزعوا المهام بينهم فتكفل الابن الأكبر مكيبسا بالشؤون الإدارية، و مصطعبل بالقضاء، و غلوسة تولى الشؤون العسكرية قبل ان ينفرد الأول بالحكم بعد وفاة شقيقيه حوالي سنة 140 ق.م.

- لم يحظى عهد ميكيبسا باهتمام المؤرخين الإغريق والرومان نظرا لعدم اهتمام هؤلاء بالمنطقة المغاربية إلا عندما تكون محل احتكاك بالشعبين الإغريقي و الروماني .

الصمت الذي خيم على عهد مكيبسا دفع بعض المؤرخين إلى تقديمه في صورة الملك الخاضع لروما غير إننا لا نستبعد ان يكون هذا الصمت ناتجا عن سيادة الاستقرار في نوميديا في عهد هذا الملك ، فقد استطاع طيلة ثلاثين سنة من الحكم (148 – 118 ق.م) ان يسيطر على كامل نوميديا من السيرت الكبير شرقا إلى وادي الملوية غربا.

كما احتفظ بعلاقات الود مع موريتانيا في الغرب و الرومان في الشرق. فلم نسمع بثورات محلية في عهده ولا صراعات خارجية مما سمح له بالانصراف إلى البناء الداخلي فمواصلة البناء الخارجي الذي بداه والده ، فقد زين و جمل مدينة قيرطا(العاصمة). كما اهتم بالعلم والعلماء.

فرغم تخلي ميكيبسا عن سياسة والده التوسعية فقد واصل سياسته في النهوض بالاقتصاد و تشجيع حياة الاستقرار ، و هو ما تؤكده النقوش التي يبدو من خلالها ان الفلاحة حظيت

بعناية هذا الملك ، إذ يشير نقش عثر عليه في شرشال إلى ان مكيبسا قد شيد العديد من القرى وكون ضيعا ذات مدخول وافر، كما اهتم بالمناطق الغربية لنوميديا وهي المناطق التي يرى كامبس انها بدات تؤدي دورا أساسيا في عهده و هذا دون إهمال المناطق الشرقية.

وفي عهد هذا الملك تحركت عجلة النمو فخرجت مدن مثل باجة و دوقة من عزلتها بالإضافة إلى تالة و قفصه و أصبحت كلها مدنا محصنة تستقبل كنوز الملك و تتكدس في خزائنها مداخيل الضرائب و المكوس . كما نشطت حركة التجارة و أصبحت قيرطا في عهده مركزا تجاريا كبيرا يؤمه الأهالي الذين يأتونه من كل صوب.

ان اهتمام مكيبسا بالمجال الاقتصادي لم يحل دون الاهتمام بالمجال العسكري و العمراني، فيذكر سترابون انه بالإضافة إلى تحصين قيرطا و تزيينها و إنشاء القصور بها فقد جعلها في وضع تستطيع معه تجنيد عشرة آلاف فارس و ضعف هذا العدد من المشاة، وهو ما جعل جوليان يتساءل إذ لم تكن محاولة تعمير إفريقيا بالايطاليين التي قام بها كراكوس (Grachus) موجهة ضده وهو أيضا ما نجده عند المؤرخ هشام الصفدي، الذي يرى ان قوة ماكيبسا المتزايدة هي التي اثارت مخاوف الرومان. كل هذه الأعمال جعلت قابريال كامبس يعلق على عهد مكيبسا قائلا : ان ثلاثين سنة من السلم، جعلت من عهد مكيبسا أكثر عهود المملكة النوميدية نفعا وان لم يكن أكثرها بريقا.

توفي مكيبسا عن سن متقدمة تاركا مملكة قوية مترامية الأطراف لأبنائه، بعد ان أوصاهم على الوحدة والتعاون: إني تاركا لكم عرشا قويا ان أحسنتم سياستكم، ضعيفا ان لم تحسنوها فبالوحدة و الاتفاق تقوى الدول الصغيرة، و بالتفرقة تنهار أعظم الدول. لكن الأخطار المحدقة بالمملكة كانت اكبر من محتوى الوصية التي تحمل في طياتها كثيرا من المعاني الفلسفية الصعبة التحقيق في الواقع.

إذ ترك مكيبسا بعد وفاته ولدين هما عذربعل (Adherbal) و هيمبصل (Hiempsal) كما تبنى يوغرطة ابن شقيقه مصطنبعل الذي جعل منه وريثا مثله مثل ولديه وبذلك يتشكل الحكم الثلاثي الثاني.

وكان الاختلاف في ميول وشخصية هؤلاء وراء نشوب الخلاف بمجرد العودة من مراسيم الجنازة . إذ اجتمع الأمراء الثلاثة للنظر في شؤون المملكة، لكن خلافا نشب بينهم ولم يتمكنوا من التوصل إلى حل غير التقسيم فاتفقوا على تقسيم المملكة و الأموال ، و هو ما كان يخالف رغبة يوغرطة الذي أرسل من اغتال ابن عمه هيمبصل سنة 117 ق.م .

أثار اغتيال هيمبصل ضجة كبيرة في نوميديا انقسم النوميديون على إثرها إلى معسكرين : الأغلبية مع عذربعل ، لكن أفضل الجنود كانوا من جهة يوغرطة، الذي اخضع عددا من المدن النوميدية بعضها بالقوة و بعضها الآخر رضيت بالتبعية له طواعية. و أوشك ان يخضع كامل نوميديا عندما أرسل عذربعل وفدا إلى روما يخبرها بمقتل أخيه و يحيطها علما بالوضع السائد في نوميديا، في الوقت الذي تهيأ فيه للعمل العسكري لكل قواته ستنهار في أول اصطدام لها مع قوات يوغرطة . مما يضطره إلى اللجوء إلى الولاية الرومانية و منها إلى روما سنة 116 ق.م . كما أرسل يوغرطة بدوره وفدا لشرح موقفه و هذا بعد ان أصبح سيد نوميديا.

ندد عذربعل في مجلس الشيوخ الروماني بأعمال يوغرطة و حاول إبراز خطورة نواياه كما حاول كسب أعضاء مجلس الشيوخ إلى جانبه بإظهار تبعيته المطلقة لروما التي طلب منها العون و المساعدة بكلمات كلها تملق و استعطاف في خطاب مطول .

أما ممثلو يوغرطة فقد أوجزوا القول و ذكروا فقط ان هيمبصل ذهب ضحية قساوته، أما عذربعل فهو البادئ بالعدوان بدون مبرر كما طلب الوفد بالحكم على يوغرطة حسب أعماله لا أقوال أعدائه ، قرر مجلس الشيوخ بعد التداول إرسال وفد يتكون من عشرة ممثلين رومان برئاسة لوكبوس اوبيميوس (L.Opimius) بهدف تقسيم المملكة النوميدية بين يوغرطة و عذربعل ، فتم تقسيم المملكة بين الشقيقين أواخر 116 ق.م حيث حصل يوغرطة على الجزء الغربي و عذربعل عل الجزء الشرقي.

ذلك ما أقره مجلس الشيوخ الروماني لكن تلك الترتيبات الإقليمية ما لبثت ان تعرضت للتغيير بسبب رفض يوغرطة لها و قيامه بثورة ضد روما بدءا من اغتيال هيمبصل ثم محاربة اذربعل و من سانده من الجالية الايطالية الرومانية المقيمة في المدن النوميدية

(سيرتا) و أبرزها عاصمة المملكة " كرطا" . التي اقتحمها يوغرطة وقتل كثيرا ممن فيها من الرومان الأمر الذي أثار روما فشنت عليه حربا، سميت بحرب يوغرطة (112 - 105 ق.م) انتهت بالقبض عليه و سوقه ليموت في السجن بروما . وقامت بترتيبات إقليمية على الخريطة السياسية لنوميديا، أبرزها اقتطاع أجزاء من الجهة الشرقية و ضمها لمقاطعة أفريكا الرومانية و منح الجنود المشاركين في حرب يوغرطة أراضي زراعية فيها، ثم منح ملك الموروبوكس الجزء الغربي من مملكة نوميديا جزاء له على مساعدة الرومان في القبض على صهره يوغرطة خدعة ، و بذلك تعدت مملكة المور الحدود الطبيعية التاريخية بينها و بين مملكة النوميد ممثلة في الحاجز المائي و هو نهر ملوية .

دخلت مملكة نوميدية بعد تلك التغيرات السياسية مرحلة التدهور عندما فقدت سيادتها على جل أراضيها، و أصبح مصيرها مرتبطا بإرادة روما . وتتأثر بما يحدث فيها من صراعات على السلطة بين القناصل فتنعكس نتائج تلك النزاعات الداخلية على أوضاع المملكة و مصيرها . وهو ما مهد لاحتلال أراضيها و إزالة كيانها كدولة من خريطة المغرب السياسية. من ذلك ان الحرب المدنية (الأهلية) التي نشبت في روما بين أنصار يومبي (حزب المحافضين) و أنصار يوليوس قيصر (العامة) أواسط القرن الأول قبل الميلاد وقف فيها الملك يوبا (الأول) ملك نوميديا مؤيدا لأتباع بومبي . فترتب عن ذلك مقتل الملك فزوال مملكة نوميديا نهائيا لما انتصر يوليوس قيصر على إتباع بومبي في معركة تايسوس الفاصلة في الشاطئ الشرقي لتونس عام 46 ق.م، فجزأ قيصر أراضي المملكة بين من وقف إلى جانبه في صراعه ضد يومبي فسلم الجزء الغربي إلى حليفه بوكوس الثاني الذي اجتاح جيشه أثناء الحرب أراضي نوميديا الغربية حتى مشارف كرتا في غياب الجيش النوميدي الذي كان محتشدا ساعتها في مواجهة جيش قيصر بشرقي المملكة. ونال جماعة من المرتزق الرومان تحت قيادة سيتيوس إقليم الشمال النوميدي الواقع غربي مدينة كوتا مكافأة من قيصر لهم على أدائهم الحرب الجيد في ارض نوميديا نصرة له. واحتفظ قيصر لروما بالأقاليم النوميدية الشرقية ذات الخصوبة العالية و بتلك التغيرات الجوهرية في خريطة المغرب السياسية لم يعد لمملكة نوميديا وجود. فقد انشأ يوليوس قيصر على الجزء الذي احتفظ به منها لروما مقاطعة رومانية جديدة سماها أفريكا الجديد (أفريكا نوفا Africa.Nova) معينا على رأسها

صديقه و مساعده صلوستيوس (Sallustus) مؤلف كتاب حرب يوغرطة " كان ذلك عام 46 ق.م. و منذئذ أضحت أقاليم نوميديا الغربية جزءا من موريتانيا التي أسست روما عليها فيما بعد مقاطعة القيصرية. فانحصر اسم نوميديا الرومانية في جزء ضئيل من إقليم نوميديا السياسي و التاريخي، ولم تعد ذات شأن كبير في العهد الإمبراطوري بينما ضمت أجزاء من جهاتها الشرقية إلى مقاطعة أفريكا البروقنصلية .

ومما سبق يمكننا ملاحظة ان الخريطة السياسية لنوميديا تعرضت لثلاثة تغيرات منذ وصول ماسينيسا إلى الحكم سنة 203 ق.م حتى وفاة يوبا الأول سنة 46 ق.م و أول هذه التغيرات كان في صالح المملكة التي لم يتمكن العاهل ماسينيسا من توحيد شطريها فحسب، بل أكثر من ذلك استطاع ان يضم أراضي قرطاجية و بذلك امتدت المملكة في عهده لتشمل كل الأراضي الواقعة من السيرت الكبير شرقا ووادي الملوية غربا باستثناء إقليم قرطاج .

أما التغيير الثاني فقد حدث اثر نهاية حرب يوغرطة (111 – 105 ق.م) التي و ان لم تقض إلى توسعات رومانية في المنطقة فقد حصل بوخوص الأول ملك موريتانيا على معظم الجزء الغربي من نوميديا موسعا بذلك حدوده حتى نهر الساحل (صلداي)، جزاء تعاونه مع الرومان في القضاء على يوغرطة ، كما انفصلت لبدة عن نوميديا أثناء هذه الحرب .

أما التغيير الثالث فقد حدث بعد انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس سنة 46 ق.م، و الذي فقد على أثره مملكة نوميديا التي قسمت على الأطراف الثلاثة المتعاونة (قيصر – سيتيوس – بوخوص) إذ حصل هذا الأخيرعلى جزء الممتد بين وادي الساحل (صلداي الصومام) ووادي امساقا (وادي الكبير) بينما حصل الثاني على مقاطعة في ضواحي قيرطا جعلها قيصر حدا فاصلا بين المقاطعة الرومانية الجديدة التي أنشأها (إفريقيا الجديدة) ومملكة موريتانيا وبهذا الترتيب يكون قيصر قد وضع حدا لمملكة نوميديا رغم محاولة ارابيون (Arabion) ابن ماسينيسا الثاني الذي تمكن سنة 44 ق.م من قتل سيتيون و إبعاد بوخوس من الأراضي التي استولى عليها بعد تابسوس و أعاد بذلك الحياة مؤقتا لنوميديا. لكن سرعان ما يهزم بدوره من طرف حاكم المقاطعة الرومانية سنة 40 ق.م بعد أربع سنوات من الحكم .

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية **قسم التاريخ و الاثار**

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس الثاني :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

نوميديا عشية الحرب الأهلية الرومانية سنة 49 ق.م :

كما أسلفنا في المحاضرات السابقة، لقد حدثت تغيرات على الخريطة السياسية لنوميديا بعد نهاية " حرب يوغرطة " سنة 105 ق.م إذ استحوذ بوخوس الأول ملك موريتانيا على الجزء الأكبر من نوميديا بعد ان امتدت حدود موريتانيا الى " صلداي (بجاية) نهر الساحل، و هذا جزاء تعاونه مع الرومان ، بينما نصب غودا (Gauda) شقيق يوغرطة على نوميديا الشرقية الذي لا تعرف شيئا عن عهده بسبب الغموض الذي يحيط بهذه المرحلة الفاصلة بين هزيمة يوغرطة و حملة يوليوس قيصر على إفريقيا (105 – 46 ق.م)

فالثابت انه في سنة 88 ق.م كانت نوميديا تحت حكم عذربعل الثاني الذي يكون قد حكم في أقصى المناطق الشرقية من نوميديا في المنطقة التي عرفت فيما بعد بالمزاق (Byzacene) أثناء الصراع بين ماريوس وسولا

بينما يكون هيرباص قد حكم إلى الغرب من مملكة حفصبعل الثاني في المنطقة المحاذية لقيرطا و كانت عاصمته بولا ريجيا (Bulla-Rejia)

و يعتقد انه أميرا ثالثا يدعى ماسينيسا قد حكم البلاد الواقعة بين وادي لمسابا (الوادي الكبير) و صلداي (بجاية) و كان مقر عاصمة قيرطا . إذ كيف نفسر تخلي هيرباص على قيرطا المحصنة و الشهيرة لصالح مدينة مغمورة قريبة من الولاية الرومانية (Bulla – Rejia).

و عند اندلاع الصراع بين ماريوس وسولا انحاز حفصبعل إلى هذا الأخير، أما هيرباص فقد ناصر اتباع ماريوس و استطاع عزل حفصبعل و ماسينيسا المؤيدين لبومبي Cn.Pompeiusلكنه في الأخير اسر من طرف القائد سيلا و ارجع الوضع إلى ما كان عليه سابقا بان أعاد المملكة النوميدية إلى ماسينيسا و هيمصال الثانيين. وضم حفصبعل مملكة هيرباص مع إخضاع الجيتول لحكمه و كذا كل الأراضي الساحلية بين مدينتي لمطة و لبدة أما امتداده غربا فلا يمكن تحديده و كل ما تستطيع قوله هو أنها امتدت إلى غرب الممتلكات الرومانية (أفريكا) . و كانت مدينة زاما إحدى عواصمها في عهد ابنه يوبا الأول إلى جانب قيرطا ، مما يجعلنا نعتقد في امتداد حدودها حتى صلداي (بجاية) .

ان حفصبعل حسب رأي بعض المؤرخين كان رجلا ميالا إلى الآداب حيث ينسب إليه كتاب كتب بالبونية بكون سالوسطوس المؤرخ الروماني قد اقتبس منه الفقرة الخاصة بأصل سكان بلاد المغرب. و هو ما جعله يحتفظ بالعلاقات الطيبة التي كانت تربطه بالرومان طيلة المدة التي قضاها في الحكم و هو ما يفهم من قول شيشرون انه حصل على لقب "الملك الحليف " .

و بوفاة حفصبعل الثاني (88 – 62 ق,م) خلفه ابنه يوبا الأول الذي كان محبا للظهور ميالا للحرب حيث قام بعدة حملات ضد القبائل المتمردة وتوسع في إقليم لبدة و حاصرها مما اجبر روما على التدخل، كما كان على خلاف مع ملكي موريتانيا بوخوس الثاني و يوغودا.

كما عمل على تزيين عاصمته زاما Zama بقصور فاخرة و حصنها بأسوار ثلاثية تضمن له ملجأ منيعا في وقت الحاجة، بعد مدة طويلة من الحكم لم يحصل يوبا الأول على اللقب "صديق و حليف الشعب الروماني " من مجلس الشيوخ . بل أكثر من ذلك نجد ممثل الحزب الديمقراطي (العامة) كيريو (Curiou) يضع مشروع قانون بومبي إلى حضر مملكته نتيجة تصرفاته التي أثارت مخاوف كيريو ومن ورائه مجلس الشيوخ مما دعاه للتفكير في التخلص من يوغرطة جديد.

و هذا ما يفهم من الدور الذي لعبه يوبا الأول في الحرب المدنية، إذ أدرك انه مدعو للعب دورا كبيرا في الصراع الذي نشب في روما انذاك والذي ستنتقل عدواه إلى باقي الولايات منها إفريقيا.

انتقال الحرب إلى إفريقيا :

بعد ان تمكن قيصر من السيطرة على ايطاليا فرايتوس فاروس Varos إلى إفريقيا على رأس بعض القوات، وفي إفريقيا تمكن من تجنيد فرقتين و أعلن فيها سلطة بومبيوس بعد ان اتخذ من مدينة اوتيكا مقرا له، وتحالف مع يوبا الأول و بدا يعد العدة للدفاع عن إفريقيا عند الضرورة . كما هيأ الموانئ و المحطات البحرية للدفاع. أمام هذه التطورات أسرع قيصر بإرسال كيريو لاخضاء فاروس و يوبا الأول رغم ان كيريو لم يكن يتمتع بمقدرة عسكرية

كمقدرته السياسية . لكن مع ذلك تمكن بعد المعارك الأولى التي كانت لصالحه ان يجبر فاروس إلى التحصن في اوتيكا التي حاصرها كيريو لولا قدوم يوبا الأول على رأس قوات معتبرة اضطرته لا إلى فك الحصار فحسب بل إلى التحصن خلف معسكر كورينيليا لكن يوبا تمكن من التحايل عليه و استدرجه إلى موقع اختاره ليكون ميدان للمعركة . حيث فوجئ كيريو و جنده عندما وجدوا أنفسهم محاصرين بإعداد لا تحصى من النوميديين و الفي 2000 فارس من الأسبان و الغاليين كانوا ضمن جيش يوبا الأول و لم يبق أمام كيريو وجنده غير الدفاع لكن يوبا تمكن من إبادتهم عن أخرهم .

في كورنيليا كان هول المعركة كبيرا إذ لم يجد جنده بدا من الفرار فارتموا في السفن التجارية الراسية بالميناء التي لم تتحمل كثرتهم فلم ينج منهم غير عدد قليل بلغ صقليه في 20 جويلية سنة 49 ق.م أما الباقون في المعسكر فقد أبادهم يوبا الأول .

بعد هذه المعركة بسنة و بعيدا عن إفريقيا انهزم بومبيوس في معركة فارسالوس سنة 48 ق.م و بعد مقتله انتقل كثير من أنصاره إلى إفريقيا . و عملوا على جمع قواهم و تنظيم أنفسهم و تمكنوا في فترة وجيزة من جمع قوات معتبرة قدرت بحوالي خمسة و ثلاثون ألف (35000) محارب منهم خمسة عشرة إلف (15000) فارس و أسطول بحري يتكون من حوالي خمسين (50) سفينة هذا دون اعتبار قوات يوبا الأول المقدرة بحوالي ثلاثين ألفا من المشاة و قوات كبيرة من الفرسان زيادة عن ستين فيلا .

تجمع أنصار بومبيوس في إفريقيا كان يستلزم على قيصر ان ينتقل إليها ليخوض حربا أخرى وحتى يضمن النجاح لحملته الإفريقية عمل على التقرب من ملكي موريتانيا بوخوس II و بوغود . و لتحقيق ذلك تم إعلان يوبا " عدو الشعب الروماني " في الوقت الذي أعلن فيه كل من بوخوس و بوغود " صديقين و حليفين للشعب الروماني و منحهما مملكة يوبا حتى يهاجماه من الخلف و يعوقاه بذلك عن تقديم العون لأنصار بومبيوس .

في هذا الوقت بالذات قام قيصر بتجميع قواته المقدرة بعشرة فرق من المشاة و أربعة ألاف (4000) من الفرسان في صقلية و أبحر من ليليبايوم على رأس ستة فرق من المشاة و سبع

كتائب من الخيالة يقدر عدد فرسانها بحوالي ألفين (2000) و ستمائة فارس و قوة صغيرة من المشاة الخفيفي العدد فقط و هذا بسبب افتقاره إلى أسطول قادر على نقل كل قواته .

نزل قيصر في ضواحي سوسة (Hadrumete) في 31 أكتوبر سنة 47 ق.م بعد رحلة شاقة تشتت إثناءها قواته . إذ لم ينزل معه من كل قواته غير ثلاثة ألاف (3000) من المشاة و مائة و خمسين فارسا وهي قوات جد متواضعة بالمقارنة مع قوات أنصار بومبيوس في إفريقيا لكن هؤلاء لم يتفطنوا إلى هذا التفوق و ظلت سفنهم العديد راسية في الموانئ و بدل مضايقة قيصر و العمل على منع وصول النجدات له مهد ميتيلوس سكيبيو الذي لم يكن في مستوى المسؤولية التي أسندت إليه لفصل سكان الولاية عنه بتركه جنوده ينهبون الولاية الرومانية .

بعد نزول قيصر بإفريقيا حاول الاستيلاء على سوسة لكنه لم يستطع لحصانة المدينة فاضطر إلى التراجع و التحصن بروسبينا بعد ان اخضع مدينة لمطة التي ستدعم مركزه بفضل مينائها الذي سيتلقى عن طريقه الامدادت الضرورية لكن لابينوس سرعان ما هاجمه على رأس 10 ألاف (10000) مقاتل غالبيتهم من الفرسان النوميديين . و رغم تمكن قيصر من صدهم إلا ان وضعه سرعان ما يتعقد بوصول ميتيلوس سكيبيو على رأس ثماني فرق و ثلاثة ألاف فارس، و كذا تحرك يوبا الأول على رأس النوميديين و بذلك حوصر في هذا الموقع.

ولم يخلص قيصر من هذا الوضع غير استيلاء سالوسطوس على جزيرة قرقنة التي كانت تتوفر على الكثير من المؤونة و كذا انضمام ستيوس إلى بوخوس و احتلاله لمدينة قرطا مما جعل يوبا الأول يحول أنظاره و تراجع على رأس جزء من قواته ليحمي مملكته، خاصة بعد ان هاجمتها قبائل الجيتول من الجنوب بتحريض من إتباع قيصر.

اضطر يوبا أمام هذه التطورات إلى توزيع قواته على ثلاث جبهات و هو ما كان في صالح قيصر خاصة بعد ان وصلته الدفعة الثانية من قواته التي تتكون من فرقتين و ثمان مائة (800) فارس و ألف (1000) من رماة النبال ، عمل على إجبار خصومه على الدخول معه في معركة قبل عودة يوبا فغادر موقعه في روسبينا جنوبا و احتل بعض التلال على بعد

عشرة (10) كيلومترات من موقعه السابق بعد ان سكيبيو رفض الخروج من موقعه الحصين عند اوزيتا و الاشتباك مع قيصر مما جعل هذا الأخير يتمادى و راح يهدد قوات سكيبيو في مواقعها، بعد ان وصلته الفرقتان الباقيتان من قواته، لكن لابينوس حال دون ذلك، مما دفع قيصر إلى الانسحاب جنوبا نحو ضواحي أغار (Aggar) على بعد ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي (اوزيتا) كما استولى على سارسورا (Sarsura) و مخازنها قبل ان يعود إلى أغار فبراير سنة 46 ق.م.

أمام هذه التطورات تخلى يوبا عن قيادة العمليات ضد سيتيوس للقائد سابورا (Sabura) و اتجه شرقا نحو معسكر سكيبيو و عسكر قربه و هو ما أثار مخاوف أتباع قيصر و رفع معنويات خصومه بعد اطلاع أنصار قيصر على عدد القوات التي استقدمها الملك معه استعادوا الثقة بأنفسهم و ارتفعت معنوياتهم خاصة أن قيصر كان قد تلقى الدفعة الرابعة و الأخيرة من قواته المقدرة بأربعة آلاف (4000) من المشاة و أربع مائة (400) فارس و ألفا(1000) من رماة النبال و المقاليع . و هو ما استغله قيصر في الإقدام على خطوة جريئة تمثلت في قراره محاصرة تابسوس (Tapsus) و بذلك أجبر سكيبيو على الخروج من موقعه لنجدة هذه المدينة التي تقع على البحر و لا يمكن الوصول إليها برا إلا عبر برزخين يؤديان إليها في الجنوب و الغرب يقع احدهما شرقي مستنقع كبير و الآخر شمالي المستنقع انتقل قيصر ليلا إلى البرزخ الشرقي و أقام تحصينات في مدخله الجنوبي و زحف على تابسوس و اعتقد سكيبيو ان محاصرة قيصر في هذا الموقع كفيل له بضمان النصر فاتجه نحو البرزخ الشرقي حيث أوقفته تحصينات قيصر فترك هناك يوبا و اقوانيوس على رأس بعض القوات بينما لجأ هو على رأس معظم القوات إلى البرزخ الغربي ليلا و في فجر السادس من فبراير كان سكيبيو على بعد كيلومترين من قيصر و بذلك وصل نقطة لا تضمن له سلامة الانسحاب أما قيصر الذي توقع هذه المعركة فقد اتخذ كل الترتيبات و قام بهجوم خاطف اكتسح به قوات سكيبو الذي اجبر على التقهقر و انقلب بعد ذلك على اقوانيوس و يوبا الأول ، الذين لم يصمدا خاصة بعد ان علما بهزيمة سكيبيو و فراره من ميدان المعركة .

أكد قيصر بعد معركة تابسوس تفوقه الذي شعرت به المدن المجاورة و بدات تنظم إليه واحدة و الأخرى ففتحت اوتيكا الأبواب له ، وأعلنت تابسوس و الجم طاعتهما بعد فترة من الحصار ، كما استولى على اوزيتا التي كانت بها مخازن الأسلحة و المواد الغذائية ، إذ لم يفقد في هذه المعركة غير 50 مقاتلا مقابل عشرة آلاف قتيل عند خصومه .

تشتت أنصار بومبيوس بعد هذه المعركة بين الفار و المنتحر و الواقع في الاسر ، أما يوبا فقد تمكن من الإفلات من ملاحقة الأعداء بالسير ليلا و الاختفاء نهارا ، حتى أدرك زاما – ريجيا التي أغلق سكانها الأبواب في وجهه خوفا من تدميرها بعد ان اعد إمكانيات التدمير النهائي للمدينة في حالة الهزيمة قبل خروجه منها مما كان سببا في رفض سكان المدينة فتح الأبواب له و لم ينفعه معه لا الوعد ولا الوعيد.

فانسحب رفقة بتريوس (Betrius) إلى بيته الريفي ولم يبق له بعد ان استسلمت زاما-ريجيا لأتباع قيصر غير الانتحار وبانتحاره و استسلام العاصمة بولاريجيا شرع قيصر في ترتيب أمور إفريقيا . فحول الجزء الشرقي من نوميديا إلى ولاية رومانية عرفت بافريقية الجديدة ، تميزا لها عن الولاية القديمة فوضع سالوستيوس على رأسها ، بصفته قنصلا مخولا (Proconsul) أما الجزء المتبقي من نوميديا فقد اقتسمه بوخوس الثاني و سيتيوس جزاء مساعدتهما لقيصر فمد الأول بذلك حدوده من وادي الساحل إلى وادي لمساقا ، بينما حصل الثاني و أتباعه على مقاطعة ضواحي قرطا ، جعل منها قيصر حدا فاصلا بين مملكة بوخوص و إفريقيا الجديدة هذا قبل ان يغادر إفريقيا في اتجاه صقلية يوم 14 افريل سنة 46 ق.م .

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ و الاثار

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس الثالث :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

نوميديا بين 46 – 25 ق.م

1- عودة الأمير ارابيون من ايبيريا و كفاحه لاسترجاع نوميديا :

رأى ارابيون ابن ماسينيسا الثاني انه من المفيد استغلال فرصة اغتيال يوليوس قيصر سنة 44 ق.م و تنازع حاكمي الولايتين الإفريقيتين (إفريقيا القديمة – إفريقيا الجديدة) على تجميع سلطة الولايتين في يد احدهما وكانت حاجة كل منهما إلى النوميديين كبيرة من اجل الانتصار على الخصم . رأى ارابيون في هذه الأوضاع المضطربة في روما و إفريقيا في أعقاب اغتيال يوليوس قيصر فرصة يمكن ان تساعده في استرجاع المملكة النوميدية ، بل بما في ذلك سيرتا و إقليمها بكل الوسائل المتاحة . فقد دخلت روما من جديد في حرب الأجنحة المتصارعة باستمرار الصراع بين الجمهوريين الاوسطوقراطيين (أنصار مجلس الشيوخ) من جهة و الشعبيين من جهة أخرى ، و امتدت الاضطرابات مرة أخرى إلى إفريقيا لان كل طرف يريد ان تكون هذه المقاطعة من نصيبه و لم يتضح بعد شكل النظام الإداري الذي ستخضع له . و إذا كانت الإدارة الرومانية راسخة في إفريقيا القديمة فإنها ليست كذلك في إفريقيا الجديدة ، كما ان السيتيانيين فقدوا في قيصر اكبر سند لهم . و أصبحت الأوضاع في الإقليم السيرتي (السيتياني) غير واضحة و لعل الهبة التي منحها لهم قيصر انتهت بموته ، و هذه الأوضاع هي التي رأى فيها ارابيون Arabion نجل الملك ماسينيسا II فرصة يمكن من خلالها استعادة السيادة للمملكة النوميدية .

تذكر المصادر ان ارابيون انتقل في البداية مع البومبيين إلى اسبانيا بعد هزيمتهم في تابسوس سنة 46 ق.م . و بعد مقتل والده ملك نوميديا الغربية ماسينيسا II .

الأمير ارابيون هو نجل الملك ماسينيسا الثاني ملك نوميديا الغربية هذه المملكة التي كانت تمتد في إقليم سطيف الحالي و لعلها كانت تمتد ما بين امبساقا (Ampsaga) شرقا و وادي الصومام غربا لتشمل السهول العليا السطايفية في الداخل .

لا نجد في المصادر شيئا يلقي الضوء على نشأة مملكة نوميديا الغربية فهل أنشئت أعقاب القضاء على يوغرطة بتقسيم المملكة النوميدية الموحدة إلى ثلاث أقاليم و إذا كنا نعرف من

المصادر ان الإقليم الغربي سلم للملك الموريتاني بوكوس الأول ، و الإقليم الشرقي نصب فيه غودة ملكا فهل هناك إقليم يتوسطهما نصب عليه احد أبناء هيمبصال الأول و هو هيارباص (Hiarbas) في نفس الوقت الذي نصب فيه غودة على رأس الإقليم الشرقي مع ان الصادر تحدثت عن صراع بين يامبسال الثاني ابن غودة و منشق نوميدي عنه باسم هيارباص ، الذي تلقى الدعم من احد القادة الماريانيين (أنصار القائد ماريوس) و لكن القائد الروماني بومبيوس الكبير الذي جاء من روما للقضاء على القائد الماريانى و لنجدة حليفه يامبسال الثاني سيقضي عليه و على هيارباس.

نستخلص من وقائع الحرب الإفريقية ان مملكة ماسينيسا II أصبحت قاعدة خلفية لمملكة يوبا الأول إلى الحد الذي جعل البعض يعتبر ماسينيسا الثاني تابعا له اكثر منه ملكا مستقلا . و الحال ان التحالف الذي تم خلال الحملة القيصرية بين المملكتين هو مؤشر نستخلص منه ان علاقة التحالف بين المملكتين المتجاورتين و عرشيهما الذين تجمعهما القرابة هي علاقة قوية و متينة و هذا يعني ان الموقف الوطني التي تجذر في نوميديا الشرقية على يد الملك يوبا الأول خاصة امتد إلى مملكة ماسينيسا الثاني و لذلك وقفت المملكتان جنبا إلى جنب ضد الحملة القيصرية على إفريقيا (47 – 46 ق.م) .

لقد راى ارابيون انه لا جدوى من البقاء في اسبانيا بعد القضاء على حلفائه هناك و لا بد من العودة إلى بلاده خاصة و انه بعد مقتل قيصر سنة 44 ق.م تغيرت الاوضاع لعله يتمكن من ابطال ما ترتب من الحملة القيصرية و اعادة بعث المملكة النوميدية من جديد .

عندما عاد ارابيون إلى نوميديا كان عليه ان يواجه وضعا في غاية الصعوبة و هو الوضع الذي ترتب على انتصار يوليوس قيصر و انهيار التحالف البومبي النوميدي و المتمثل في :

ـ اقرار الغاء المملكة النوميدية : و تحويل جزء منها على الاقل إلى مقاطعة رومانية تحت اسم إفريقيا الجديدة .

ـمكافئة زعيم المرتزقة سيتيوس : من قبل يوليوس قيصر بمنحه الشرعية في حكم الإقليم السيرتي ، (السينياني) وهو الإقليم الذي يضم المدن الاربعة القل – سكيكدة – ميلة –

سيرتا، وبهذه " التسوية " القيصرية تكون هذه المنطقة قد واجهت ابشع انواع الاحتلال ، و هو احتلال القراصنة السيتيانيين لها ، و هم لا يجيدون سوى اعمال النهب و التخريب ، و تكون فظاعتهم ابشع اذا تمكنوا من استمالة افراد الجالية الرومانية بالمنطقة اليهم .

لعل اهم الاثار المترتبة عن النقطتين السابقتين هي اضطراب احوال البلاد ، على اثر الغارة القيصرية ، فتشتت القزى النوميدية التي ليس من السهل اعادة تجميعها ، و لكن ما يشجع الامير ارابيون على شق طريقه في الكفاح هو انه كان اعرف بوضع بلاده، و بنقاط الضعف و القوة فيها، و لعله ادرك ان الجذوة " الوطنية" فيها لا يمكن ان تنطفئ و لذلك سرعانا ما استجمع قواه ، و كون جيشا نظاميا، لعله كان متمركزا به خارج منطقة النفوذ الروماني التي لم تكن تتجاوز المنطقة التلية ، اذ انه يبدو ان السهول العلية القسنطينية لا تزال تحت نفوذ زعماء القبائل ، و ان النفوذ الروماني لم يصلها بعد ، وهي المنطقة التي ستكون مرتكزا للمقاومة التي سيقودها هذا الامير .

كانت الاوضاع المضطربة التي اعقبت اغتيال قيصر مناسبة للثورة على الاحتلال الروماني الذي زعزعته الحرب بين الولاة ، ففي ظل حكومة الائتلاف الثلاثي في روما ، استمر الصراع الثنائي بين الشعبين و الارستقراطيين ، و اضطربت الاوضاع في إفريقيا ، و خاصة ان مسألة مقاومة الاحتلال الروماني تكون قد لاقت حماسا كبيرا من شرائح اجتماعية واسعة ، لان قساوة الاحتلال أصبحت محسوسة لدى كل الشعب ، ولذلك فان المقاومة لايمكن ان تكون قضية امير يريد استرجاع عرشه كما تصوره المصادر اللاتينية ، بل هي فوق ذلك ارادة شعب يريد قيادة تمتلك الاستعداد و الخبرة و قوة الارادة ، و هي الشروط التي يكون قد لمسها هذا الشعب في شخص ارابيون دون ريب .

لم يكن للامير ظهر يحميه، سوى القاعدة الشعبية النوميدية، فإلى الغرب تمكن من استرجاع الإقليم الذي استولى عليه بكوس الثاني لقاء تحالفه مع قيصر و عندما استنجد بوكوس باكتافيوس لم يكن لهذا الأخير متسع من الوقت لمساعدته و في تلك الاثناء كان السكان في نوميديا " السطايفية" – وهي جزء من المملكة التي انتزعت من اربيون بعد مقتل ابيه و منح قسم كبير منها لبوكوس الثاني لقاء وقوفه إلى جانب قيصر خلال حملته على إفريقيا كما منح

القسم الاخر لسيتيانيين – متذمرين من سياسة بوكوس فانتهز اولئك السكان فرصة الاضطرابات، وقاموا بالثورة على سلطته، و تحررت المنطقة من حكمه وعادت إلى ارابيون وبذلك استرجع ارابيون قسما هاما من مملكته يمتد من الصومام إلى امبساغا- في ارجح تقدير- وليس أمامه بعد ذلك غير مواجهة سيتيوس وقراصنته.

بدا للامير اربيون الذي يكون قد استرجع نفوذه في نوميديا الداخلية ان الفرصة سانحه لتوجيه الضربة القاضية لسيتيوس فقد كانت القيادة الرومانية منشغلة بوقائع الصراع بين انطوان و اوكتافيوس و مع انه كان يعرف جيدا عاقبة التحالف مع الرومان الا انه انساق مع فكرة التحالف مع احد طرفي الصراع مع ان التحالف مع روما لم يكن في يوم من الايام مامون العواقب، فكانت أمامه عقبة لابد من التخلص منها وهي سيتيوس هذا الأخير قد يكون اعتبر نفسه حارسا للمصالح الامبراطورية لإقليم السيرتي و هو لا يطمئن لعودة اربيون كما ان اربيون لايطمئن اليه و لذلك لابد من المواجهة بين الاثنين، وحدثت المواجهة و لقي سيتيوس مصرعه ، و انتصر ارابيون الذي لم يكتف بمقتل "زعيم" القراصنة ، بل يكون قد قام بابعاد " الكولون" السيتيانيين عن منطقة سيرتا و بذلك يكون قد تفرغ لتنفيذ الخطوة التالية و هي الاستفادة من الصراع بين واليي الافريقيتين ، و لعل ذلك يعبر عن ملامح مملكة نوميدية اخذت تتشكل من جديد، و هي تستكمل استقلالها سياسيا واداريا و عسكريا بالتدريج ، و عادت فرق الفرسان النوميد إلى الظهور وهي الفرق التي تزعج الرومان ، فالحيصان النوميدي اخطر " سلاح " على الوجود الروماني بالمغرب القديم .

5 – التحالف بين ارابيون و الوالي الروماني سكستيون :

لم يجد سكستيون (Sextius) والي افريكا نوفا (افريقيا الجديدة) – الذي انهزم في ناحية هيدروميت (سوسة) كما اشرنا اليه اعلاه – حلا أمامه سوى الاعتماد على هذه القوة المتنامية في نوميديا لمواجهة خصمه كورنيفيكيوس ، و من جهته كان الامير ارابيون يدرك بان كلا الواليين يريد الاستعانة به على خصمه لحسم الوضع لصالحه ، غير انه كان ينتظر الفرصة ليكون تدخله إلى جانب احدهما لصالح مملكته و في الأخيرفضل ان يقف إلى جانب الطرف الضعيف وهو سيكستيوس للقضاء على الطرف الاقوى ولعله بذلك يريد التحالف مع

الطرف الاضعف لتكون له الكلمة العليا بعد ان يتحقق الانتصار ، و حيث ان سكستيوس كان في وضع حرج للغاية و عاصمته محاصرة ، فان ارابيون قرر الانطلاق على راس جيشه لنجدته ، وتمكن من فك الحصار الذي ضربه جيش كورنيفيكيوس على عاصمة إفريقيا الجديدة ، و اجبر ليليوس ديكيميوس على الانسحاب و العودة إلى اوتيكا و بعد انتصار ارابيون أصبحت معركته هو و سيكستيوس واحدة ، و بدا ان تحالفهما قوي ، و لا ريب فان الاتصلات التي تمت بين القائدين جعلت من ذلك التحالف قرارا رسميا اتخذاه لاقتسام نتائج النصر ، بحيث يسترجع كل واحد منهما سيادته .

كانت اول خطوة قام بها الامبر ارابيون هي فك الحصار على سيكستيوس ، ثم اوقع قائده ليليوس ديكميوس في الهزيمة ، ولم يكتف بذلك بل تعقبه نحو معسكره الرئيسي باوتيكا وهكذا اصبح كورنيفيكيوس الذي دارت الدائرة عليه عدوين ، و رغم جيشه الكبير فان وضعه اصبح سيئا للغاية .

كان ليليوس ديكميوس يعسكر في اعلى هضبة غير بعيد عن معسكر كورنيفيكيوس عندما ادركه الجيش النوميدي بقيادة ارابيون و حاصره بفرق الخيالة النوميد السريعة ،و احكمت عليه الحصار هناك إلى درجت انه اصبح مهددا بالموت جوعا و عطشا ، و في تلك الاثناء لحق سيكيستيوس على راس جيشه ،

و ازداد وضع كورنيفيكيوس سوءا و لم يجد بدا من الخروج من معسكره لمواجهة هذا الوضع ، و هي الخطوة التي كان ارابيون ينتظرها ، فما ان خرج كورنيفيكيوس حتى امر ارابيون قسما من الفرسان النوميد بالهجوم على معسكر العدو ، فاقتحموه واستولوا على ما به من مؤن و ذخائر ، و ابادوا من به من حرص ، ومن جهة اخرى كان خروج كورنيفيكيوس فرصة لتطويقه من قبل جيش اربيون، ووقع جيش كورنيفيكيوس في خطر ابادة حقيقية، وقتل كورنيفيكيوس ولم يتمكن قائده ليليوس الذي كان يتابع الاحداث من اعلى الهضبة المحاصر فيها من نجدته فانتحر و تبدد جنده.

كانت المعركة ضارية، اظهر فيها الامير اربيون قدرة كبيرة في التخطيط ادارة المعركة، فهو الذي صنع النصر الحقيقي، لقد ادى انتصاره إلى انتصاب سكستيوس على راس مقاطعة إفريقيا ولو لفترة قصيرة لان اغسطس سيقوم بتعيين حاكم جديد.

عاد الامير اربيون إلى مملكته ، و في ضميره انه انتتقم للشعب النوميدي من الظلم و القهر الذي ملأ البلاد منذ الحملة القيصرية ، فهذا النصر اكد السيادة الوطنية للمملكة ، و لم يبق اربيون مجرد امير ، بل توج ملكا و أصبحت مملكته تشمل اضافة إلى نوميديا الداخيلية، الإقليم السيرتي و نوميديا الغربية ، اما سكستيوس فقد اصبح الحاكم الاوحد لإفريقيا الرومانية و بذلك تقاسم الاثنان نتائج انتصارهما .

في روما وجهت من قبل اوكتافيوس و انطوان تهمة التقارب مع سكتوس بومبيوس إلى ليبدوس شريكهما في الثلاثية (Triumvirat) فاقصي منهما مؤقتا و سحبت منه مقاطتا اسبانيا و غاليا الناربونية مع الوعد بتعويضه بالافريقيتين اذا ثبتت برائته من التهمة المذكورة و في انتضار ذلك تقاسم انطوان و اوكتافيوس إفريقيا فكانت إفريقيا القديمة من نصيب انطوان الذي اقر سكستيوس عليها اما إفريقيا الجديدة فعادت إلى اوكتافيوس الذي عين على رأسها واليا جديدا هو فوفكيوس فانغو (C. Fuficius Fango) و كان من اصل وضيع (de Basse Extraction) بدا مشاوره المهني في الجندية كمرتزق و ارتقى بفضل رعاية قيصر له حتى بلغ عضوية مجلس الشيوخ و لذلك سيستمر الصراع من جديد بين والي اونطوان و والي اوكتافيوس .

رفض فانغو الخضوع لانذار سكستيوس بالاذعان ، لان هذا الخير صمم ان يجعل من الافريقيتين مقاطعة واحدة ، اما فانغو فكان يريد جر خصمه ال المعركة باي ثمن و لذلك قام بسلسلة من العمليات الانتقامية ضد السكان العزل ، كان افظعها الانتقام من السيرتيين و لم يجد سكستيوس بدا من التحالف مع الامير ارابيون لاستفادة من خيالته ومن خبرة النوميد في حرب الكمائن ، و كانت النتيجة ان التحالف بين سكستيوس و اربيون حقق النصر على فانغو .

6 – اغتيال الامير ارابيون من قبل "حليفه" سكستيوس :

ان هذا الوضع الذي يتكرر و هو الانتصار بفضل مؤازرة ارابيون اصبح يقلق سكستيوس الذي يبدو انه لا يقبل ان يظل الامير هو صاحب الفضل عليه في كل مرة فامتلأ صدره بالحقد والضغينة و اضمر الشر للامير ، فكيف يعرف الراحة و الاطمئنان ازاء قائد من سلالة ملكية و فوق ارضه و بين شعبه ، و هو الذي يعيده إلى منصبه في كل مرة مثله مثل واروس الذي كان قد اصبح تحت حماية الملك يوبا الأول على اثر انتصاره على كريون في 49 ق.م .

لقد اضمر سكستيوس الشر للامير ، بدافع الحقد و الشعور بالخوف من هذا الامير الذي اثبت كفاءة حربية عالية، و فوق ذلك يعمل من اجل بعث المملكة النوميدية ، وهو ما يثير الرعب في روما ذاتها و في ادارتها الاستعمارية في إفريقيا ، و قد نقل ابيان و ديون كاسيوس بامانة أسباب حقد الوالي الروماني على الامير و هي : " **تكمن في شجاعته و حسن تنظيمه لجيشه و خاصة تعلق الشعب النوميدي به** " .

قام سكستيوس بتدبير اغتيال الامير اورابيون و اشاع بانه فعل ذلك لانه علم بمؤامرة ضده يحيكها في الخفاء مع الوالي فانغو ، و بعد هذا الاغتيال الغادر قام الفرسان النوميد بالانفصال عن جيش سكستيوس و انضموا إلى جانب فانغو املا في الانتقام من قاتل قائدهم و اميرهم غدرا ثم تجمعوا في زاما غير ان سكستيون انتصر على فانغو و دخل زاما التي قاومته مقاومة عنيفة كأنها تكفر عن ذنب تنكرها ذات مرة لملكها يوبا الأول – و اصبح الحاكم الاوحد لإفريقيا .

اذا كان المؤرخون القدامى لم يكلفوا انفسهم عناء البحث في خلفيات هذا الاغتيال و ابعاده فمن السذاجة التوقف عند ظاهر الاحداث لان اغتيال الامير ارابيون هو الحكم بالموت النهائي على المملكة النوميدية التي لن يقوم لها كيان بعد ذلك .

لقد ترتب عن اغتيال الامير ارابيون اعادة فرض السيطرة الرومانية على كامل إفريقيا الجديدة بما في ذلك الإقليم السيرتي و تم توحيد الافريقيتين و سيستلم حكمها ليبيدوس الذي

كان عضو الثلاثية الثانية ، ويكون السيتيانيون قد استرجعوا الشعور بالامان الذي افتقدوه طيلة وجود الامير الذي قضى على زعيمهم ، و لا ريب انهم كان قد ابعدهم عن سيرتا كما استرجع بوكوس الاصغر القسم النوميدي الذي كان قد تحرر من سلطته و اصبح بعد وفاة بوغود الذي لم يخلف عقبا ، على راس مملكة شاسعة تمتد من المحيط غربا إلى وادي امبساغا (Ampsaga) شرقا ، لكن هذا الوضع لن يدوم طويلا فقد توفي بوكوس الاصغر دون ان يترك عقبا هو الاخر و سلمت مملكته إلى يوبا الثاني نجل يوبا الأول الذي نشأ في روما نشأة لاتينية ، و لعل ذلك كان مبعث اطمئنان الرومان له ، فسلموه هذه المملكة الواسعة لتكريس التبعية كخطوة اولى تمهد للاحتلال في النهاية لكل إفريقيا ، و الحال ان اوكتافيوس بعد ان حسم الامر لصالحه ينبغي له ان يكمل السياسة التي كان قد شرع فيها سلفه قيصر و هو ما شجعه على اعادة تنظيم افريقي، فتبين له ان السيتيانيين لا يمكن الاعتماد عليهم بعد مصرع قائدهم و ان الإقليم السيرتي ينبغي ان ينظم من جديد وفق صيغة تأخذ في الاعتبار وضع الإقليم و مكانة سيرتا التاريخية و على ضوء هذه الرؤية يكون اوكتافيوس قد اعلن سيرتا مستعمرة يولية بنظمها البلدية .

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية **قسم التاريخ و الاثار**

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس الرابع :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

مملكة موريطانيا من وفاة بوخوس الثاني إلى ضمها إلى الاملاك الرومانية (33 ق.م – 40 ، 42 م) :

عند وفاة بوخوس الثاني في سنة 33 ق.م ورث اوكتافيوس مملكنه بدعوى انعدام الوارث الشرعي لها. وقام بوخوس بضمها طيلة ثماني سنوات قضتها تحت الادارة العسكرية بامر منه.

لقد اختلف الباحثون المحدثون حول الصيغة التي ادارت بها روما مملكة موريطانيا بعد وفاة ملكها بوخوس الثاني، حيث عرفت مرحلة مايسمى فراغ العرش او ما بين الملكين، و هنا نجذ ان ستيفان غزال افترض تعيين حاكميين رومانيين تم اختيارهما من طبقة الفرسان الأول استقر في مملكة بوخوس و الثاني ربما في مملكة بوغود. في حين نجد ان مزارد طرح فرضية حكم ثنائي حاكم روماني والاخر حاكم موريطاني.

كما عرفت هذه الفترة انشاء مجموعة من المستوطنات بالمجال الموري، ولم يقم اوكتافيوس بالحاق موريطانيا باملاك الرومانية وجعلها ولاية رومانية، وهذا راجع إلى سببين: لانه لم يرد استعجال الاحداث و من جهة اخرى لانها تكلف مصاريف كثيرة على حساب الخزينة الرومانية و خرج بحل وهو منح حكم المملكة الموريطانية إلى يوبا الثاني سنة 25 ق.م

I- فترة حكم يوبا الثاني و بطليموس وولائهما لروما:

1-يوبا الثاني:

ولد يوبا الثاني في زاما الملكية و هو ابن يوبا الأول، و لا هو لايعرف ان كانت امه بربرية او رومانية او فينيقية كما لا يعرف ان كان لديه اخوة ام لا. بعد هزيمة يوبا الأول في معركة ثابسوس في سنة46 ق.م و تحويل مملكنه إلى ولاية تابعة لروما باسم افريكا الجديدة، اخذ يوبا الثاني كاسير إلى روما و عرض في موكب النصر و هو ابن الخمس سنوات. تلقى تربية رومانية في كنف عائلة اوكتافيوس حيث قامت اخت اوكتافيوس برعايته و تربيته تزوج بكليوباترا سليني ابنه كليوبلترا الكبرى. نشا نشاة شباب روما الاشراف في رخاء و ترف، و تعلم اللغتين اللاتينية و الاغريقية و قد تشبع بثقافتها إلى درجة ان بعض المصادر

وصفته بانه من اعظم العلماء. حيث لم تمنعه انشغالاته السياسية ثم جولاته من ان يتعاطى الثقافة بكل الوانها كان يتقن اكثر من لغة و احاط نفسه بحاشية مكونه من الفنانين والشعراء، اتسم عهده بنوع من الازدهار و الامن على الرغم من بعض التمردات .

نصبه اوكتافيوس حاكما على موريطانيا الموسعة التي كانت تمتد من حدود الولاية الجديدة إلى المحيط الاطلسي، وهكذا مهدت روما للاستيلاء على موريطانيا بواسطة ملك تعتمد على ولائه واخلاصه لها، و لقد قام يوبا الثاني بدوره على احسن وجه و ذلك بيتطبيق سياسة الرومنة في المنطقه حيث انه كان موظفا مسؤولا امام الامبراطور اكثر من كونه ملكا ذي سلطة و نفوذ.

و بالعودة إلى المجال الذي كان خاضع ليوبا الثاني هو محل نقاش بين المؤلفين، حيث نجد ديون كاسيوس يشير إلى ان اغسطس منح ليوبا الملك الابوى وفي فقرة اخرى يقول ان اغسطس اعطى ليوبا الثاني قسما من جيتوليا في نفس الاراضي التى كان ابوه عليها...، اما سترابيون يذكر ان يوبا الثاني تسلم من يدي القيصر اغسطس دولة ابيه قبل ملك موريسيا، و نجد ذيون كاسيوس يقول ان اغسطس اعطى ليوبا الثاني الملك الابوي.

اما الباحث فريزول frezoule الذي راى ان مملكة يوبا الأول عادت للحياة مدة قصيرة وكان ابنه ملكا عليها، و يوضح قائلا ان" يوبا الثاني له ملك ابيه بعد معركة اكتيوم و فقدها قبيل 25 ق.م عندما ضمت نوميديا إلى ولاية إفريقيا و لكنه عوض له عنها بموريطانيا.

غير ان ستيفيان غزال لم يقتنع بهذا الامر و اشار إلى ان يوبا الثاني قبل 25 ق.م لم يكن موظفا او ملكا رسميا و علل رايه بانه لا يعقل ان يمارس يوبا الثاني سلطته على بلاد أصبحت جزءا من ولاية إفريقيا الجديدة منذ 46 ق.م.

وفيما يخص عاصمة اقامة يوبا يذكر سترابيون انه قد اعاد تشييد مدينة يول وغير اسمها إلى قيصرية، كما يذكر ذلك عدد من المؤلفين القدماء من بينهم بلين الشيخ القائل بان – قيصرية- يول قديما عاصمة يوبا الثاني. وقد قام يوبا الثاني بتسمية عاصمته بقيصرية عرفانا لولي نعمته قيصر و اعترافا له بالجميل، اقام بها معبدا لتقديس الامبراطور اغسطس و تمثال من المرمر يمثله.

لم يخيب الملك ظن اولياء نعمته اذ كان اداة طيعة لتنفيذ اوامر روما و خدمة مصالحها ، و ذلك بالسهر على قمع الثروات التي قام بها الامازيغ ضد التواجد الروماني ، ففي سنة 6 م حارب قبائل الجيتول التي ثارت ضد الرومان و الملك نفسه ، بسبب اغتصاب اراضيها و حرمانها من الرعي .

و رغم ان يوبا الثاني لم يتمكن من ضمان الامن و الاستقرار في مملكته ، نتيجة ثورات الجيتول المتكررة الا انه قدم مساعدات كبير للرومان ، و هذا ما اعترف به الرومان عندما قدموا له كرسيا من العاج و تاج من الذهب .

كانت ثورة تاكفاريناس من اقوى و اعنف الثورات التي شهدتها شمال إفريقيا ، كما كانت اطول ثورة تصدى لها الرومان في المنطقة بحيث دامت حوالي سبع سنوات من سنة 17 م إلى 24 م ، حيث لم يتم القضاء عليها الا في فترة حكم بلطيموس . عمل يوبا الثاني قصارى جهده للقضاء على ثورة تاكفاريناس ، حيث استعان الرومان بقوات يوبا الثاني هذا الأخيردخل بثقله ضد بني قومه لصالح الرومان و سجل انتصاره على ظهر عملته التي سكها في سنة 18 تخليدا لهذا الانتصار .

خلاصة القول ان يوبا الثاني حكم موريطانيا تحت رقابة روما، و بالنيابة عنها طوال الفترة الممتدة من 25 ق.م إلى غاية 23م قام خلالها بتمهيد السبيل أمام الحكم لروماني.

2-بلطيموس:

فيما يخص فترة حكمه لم تتطرق اليها المصادر باسهاب مثلما ذكرت اباه يوبا الثاني، وانما اكتفيت بذكر مشاركته في القضاء على ثورة تاكفاريناس و ذكر فترة نهاية حكمه من خلال التطرق إلى اغتياله الذي كان الظرف الذي اسهم بالحاق موريطانيا بالحكم المباشر لروما.

يرجح ستيفان غزال تاريخ مبلاد بلطيموس إلى سنتي 5م و 6م و ذكر ان امه كليوباترا توفيت بعد ميلاده بقليل، واسمه اللاتيني نسبة إلى اسم والده يوبا الثاني الروماني المنسوب إلى بوليوس قيصر: caius julius ptolemaius، حل على عرش موريطانيا بعد موت ابيه يوبا الثاني في سنة 23م او بداية 24م ، الا ان هناك اشارات في انه كان يشارك والده في شؤون المملكة، و كان يحمل لقب الملك في حياة ابيه ابتداء من سنة 20م وعمره 25 سنة و لما مات والده كان لا يتجاوز الثامنة و العشرين من عمره. كان يعيش حياة الترف و البذخ حيث ترك سلطته لمعتوقيه و خصيانه و هو ما دفع المور حسب المؤرخ تاسيت إلى الالتحاق بثورة تاكفاريناس، حيث تابع بلطيموس نفس سياسة ابيه خلال فترة حكمه(23_40م)، اذ انه ساعد الجنرالات الرومان على قمع ثورة تاكفاريناس.

بعد القضاء على ثورة تاكفاريناس في سنة 24 م قدم وفد من مجلس الشيوخ ليمنح بطليموس عصا من العاج و حلة رومانية مطرزة ، و تم منحه لقب الصديق و الحليف ، جاء هذا التكريم تاكيدا ليؤكد استمرارية عقد التحالف الذي يربط المملكة بروما بعد وفاة يوبا الثاني ، وأيضا الحماية التي كان يحظى بها الجالس على عرش موريطانيا من قبل الرومان ، و هو ما كان يجعل الملك ضمن اتباعه .

اولى عناية خاصة لكل مظاهر الحكم و السلطة عظمتها على المستوى الداخلي حيث حافظ على نفس الجهاز العسكري الذي ورثه عن والده و ساهم في الحفاظ على هيبة و سلطة الدولة و استقرارها ، كما قام بسك نقود تحمل اسمه سجل على بعضها الهداية التي قدمها له مجلس الشيوخ الروماني و سك عملتين ذهبيتين واحدة تخلد السنة الأولى لاعتلائه للحكم و الثانية حوالي سنة 38 – 39 م لا تعرف المناسبة وراء سكه لها .

بعد هذا تسكت المصادر عن ذكر احوال المملكة الموريطانية و ملكها بطليموس ، بحيث تبدوا الاوضاع هادئة و ملكها بطليميوس ينعم بثروات ذلك الاستقرار إلى غاية سنة 40 م ، التي شهدت اغتيال الملك بطليموس من طرف القيصر كاليغولا ، واضعا يذلك حدا للاستقلال الشكلي للمملكة الموريطانية .

ظروف ضم موريطانيا إلى الاملاك الرومانية :

بعد انتهاء الحرب البونية و القضاء نهائيا على قرطاجة في سنة 146 ق.م و جعلها مقاطعة تابعة لروما بدا التوسع الروماني في شمال إفريقيا القديم يزيد ، فلم تجبع مطاعم روما ضمها لقرطاج و لا حتى جعل نوميديا (46 ق.م) تحت لوائها ، وحولت انظارها للمملكة المورية التي بسطت نفوذها فيها اولا من خلال انشائها للمستعمرات ، ثم من خلال تعيين حكام موالين لها (يوبا الثاني – بطليموس) ، واخيرا في سنة 40 م قامت بالحاقها للحكم المباشر لروما بعد موت اخر ملوكها ليصبح الشمال الافريقي كاملا تحت سلطة روما .

عملت روما على تطبيق مجموعة من الاشكال الاستعمارية الرامية إلى اخضاع البلاد قانونيا و سياسيا قبل الحاقها اداريا و عسكريا حيث اتفق جل الباحثين على ان السيطرة الرومانية كانت لها مجموعة من المظاهر من بينها تحظير و تهيئة الملوك و الامراء المحليين لاسناد حكمها اليهم بعد ان تكسب ثقتهم و تطمئن الهم ، وتكون دائما غايتهم هي تخفيض تكاليف التجهيزات و المصاريف الباهضة التي يتطلبها الحكم المباشر ، وهو ما يشير اليه كركوبينو CARCOPINO اعتمادا على المؤرخ تاكيتوس TACITE ، ان اغسطس AUGUSTE قرر ان يضع تاج موريطانيا على رأس الشاب يوبا الثاني استعدادا لالحاقها بالادارة الرومانية ، الذي تربى في احضان القصر الامبراطوري الروماني ، وكلفه بمهمة اخضاع موريطانيا من اجل بسط السيطرة الرومانية عليها ، وزرع عناصر مشروع الرومنة عن طريق ادخال مجموعة من الاليات الاجتماعية و الحضارية الرومانية في المجتمع الموري ، فاسند اليه مهام التكفل بالجانب الاداري و العسكري خاصة و ان هذا الملك تلقى تكوينا كافيا يسمح له بتسخير هذه العناصر لخدمة الاهداف التوسعية .

فبعد وفاة يوبا الثاني وكليوبترا سيليني ، خلفه في الحكم ابنه بطليموس ، ينتمي هذا الأخيرالابن الوحيد ربما للملك يوبا الثاني إلى ثلاث عائلات عريقة و مشهورة : نوميدية

امازيغية ، اغريقية فرعونية و رومانية ، من جهة ابيه سليل عائلة ملكية نوميدية و من جهة امه حفيد ملكة مصر كليوبترا و القائد الروماني ماركوس انطونيوس ذو اصول اغريقية و عائلة رومانية نبيلة أيضا ، فاصوله النبيلة هذه اعلت بدون شك من شأنه و اعطته الشهرة .

حيث اشركه ابوه معه منذ صغره في تسيير شؤون المملكة اما اعدادا له و تسهيل للخلافة ، و اما بسبب اعاقة منعته من الممارسة الكاملة للسلطة . و ان اعتلاء بطليموس عرش موريطانيا و خلافته لابيه تم اواخر سنة 23 م . لكن حسب ستيفان غزال انه لم يعين بشكل رسمي الا في نهاية صيف سنة 24 م . حيث تشير معضم النقوش و الكتابات انه بعد موت ابيه ابلغه مبعوث من مجلس الشيوخ بالاعتراف الرسمي بملكه او حكمه حيث حكم لمدة 17 سنة اي من (23 – 40 م) فالظروف السياسية و العسكرية في موريطانيا لم تساعد روما عقب وفاة يوبا الثاني من ضم موريطانيا ، لان الحرب كانت لازالت ملتهبة ضد تكفاريناس ، و بذلك لم يجد الرومان من حل آخر سوى قبول تعيين ابنه بطليموس لأنه قد تلقى تربية و تكوينا رومانيا ، فهو المؤهل للعب الدور الذي لعبه أبوه من قبل في الدفاع عن المصالح الرومانية .

فالظروف تطلبت و حتمت إبقاء بطليموس على المملكة الموريتانية لضمان ولاء قسم من الأهالي و عدم تمردهم على السلطة الرومانية ، و اعتبرت هذه المرحلة كذريعة لتعزيز الاستيطان و الوجود الروماني . و بعد ان تأكدت الإدارة الرومانية قدرتها على حماية المعسكرات الرومانية بالمنطقة عجلت الرغبات الشخصية بإبعاد بطليموس من الطريق باغتياله .

❖ فما هي اذن الأسباب التي عجلت بمقتل بطليموس ؟ و ماهي حيثيات و ملابسات هذا الاغتيال ؟

1- مقتل بطليموس :

تعتبر المرحلة الانتقالية في موريطانيا التي يمكن تحديدها ما بين مقتل بطليموس على الارجح 39 – 40 م و اخماد ثورة ايدمون و سلابس سنة 43 م . من خلال اشارات المؤرخين مرحلة عمها الهدوء النسبي او المرحلة غامضة ، لأن الكتاب القدامى لم يقدموا معلومات كافية و دقيقة كفيلة بنفض الغبار عن احداثها و وقائعها .

عموما ما يمكن استنتاجه من الابحاث المهتمة بفترة حكم بطليموس لموريطانيا و علاقته بالرومان ، هو ان هذا الأخيرقد تجاوز المهام التي كان من المفروض الوقوف عندها حسب المخطط الروماني ، و يتجلى ذلك من خلال حرصه على اظهار شرعية توليه للحكم على موريطانيا أمام النفوذ الروماني ، الا ان هذا لم يحدث حيث تطورت العلاقة بين الرعية و الملك ، عكس ما كانت عليه في عهد يوبا الثاني ، بدليل استقرار الامن في المنطقة خاصة

بعد القضاء على ثورة تكفاريناس ، و بذلك فان بطليموس لم يعد يساير روما في موريطانيا ، و حتى لا تتحول هذه الاداة المتمثلة في الملكية التابعة إلى عامل يعرقل تواجدها ، اصبح في صالح الرومان المرور إلى المرحلة النهائية و التي انتظرتها طويلا و هي ضم موريطانيا مباشرة إلى باقي الولايات الرومانية و ذلك على حساب التخلص من الملك بطليموس.

رغم الابحاث التي خصصت لهذا الحادث و التي تداخلت أسبابها بين ما هو سياسي و شخصي و اقتصادي الا انها تبقى عبارة عن فرضيات حاولت نفض الغبار عن مرحلة تاريخية تميزت بالغموض و قلة المعلومات .

لقد استولت روما على مملكة موريطانيا خوفا منها ذلك لانها كانت تحد منطقة نفوذهم من الجهة الغربية بالنسبة لإفريقيا ، و من الجهة الجنوبية فيما يخص الولايات الايبيرية ، كما ان عدم وجود وريث للعرش عجل بكاليغولا في التخلص من بطليموس لوراثة الملك نظرا لعلاقات القرابة التي كانت تجمعهما ، و بمقتل بطليموس استولى كاليغولا على المملكة الموريطانية ، ووضع بذلك حدا لتجربة الحماية التي ابتدأت منذ عهد اغسطس التي اعتبرها حلا طرفيا .

و لما كان اغتيال بطليموس اذانا بالنهاية الفعلية للملكة الموريطانية في غرب إفريقيا الشمالية ، فقد قامت في عموم المملكة عدة ثورات استنكارية تطلبت لقمعها تدخل العديد من القادة الرومان الكبار بحملات عسكرية منظمة

2 – ثورة ايدمون :

تعد ثورة ايدمون احدى حلقات مقاومة الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا ، و هي ان اختلفت عن سابقتها (ثورة تكفاريناس) من حيث المدة الزمنية ، فانهما تلتقيان في التعبير عن رفض الاهالي لسياسة الرومان و سعيهم الدؤوب للتخلص منها بوسائل قد تبدو ضئيلة ، اذا ما قورنت بالامكانيات الكبيرة لدى الرومان ، و لكنها تبقى برهانا على تمسك هؤلاء الاهالي بحقوقهم .

فصعوبة تناول ثورة ايدمون ترجع إلى ندرة المصادر و نوعية المعلومات التي قدمتها حيث يتم الاعتماد فقط على مصدرين اساسين : فهناك نص لبلين الشيخ ، و كذلك اشارة ديون كاسيوس ، التي تظل غير واضحة و لا تساعد في الوقوف على مجرى الاحداث ، و نقيشة ماركوس فاليريوس سيفروس Morcus Volerius Severus عثر عليها بوليلي . يتضح من خلال قراءة نصها خروج فاليريوس على رأس قوات مساعدة إلى جانب الرومان لمحاربة ايدمون حوالي 40 م .

اما اشارة نص بلين : " ان الجيوش الرومانية حاربت لاول مرة تحت حكم كلوديوس بموريطانيا حيث قام ايدمون للثأر للملك بطليموس الذي قتل بأمر من كايوس قيصر (كاليغولا) " . لا يقدم لنا معلومات كافية و دقيقة عن شخصية ايدمون و ثورته اللهم اسمه و بكونه حاول الثأر لبطليموس فنحن نجهل اصوله و المنصب الذي شغله الا ان هذا النص يبقى المصدر الوحيد الذي يتحدث عن هذه الثورة .

1-2 أسباب الثورة :

فقد اعقب الاعلان عن مقتل الملك الموري بطليموس اندلاع ثورة ايدمون ضد الرومان و اعتبرتها المصادر التاريخية بمثابة الرد المباشر الذي نتج عن هذا الحادث و هو ما نلمسه عند بلين الشيخ الذي اشار إلى ان العبد المعتق ايدمون بادر إلى الثأر لسيده .

فالكتابات الحديثة و باعتمادهم على مختلف هذه المقتطفات من المصادر سواء الكتابات او النقائش ، اختلفت في تحديد أسباب المقاومة العسكرية التي واجه بها ايدمون القوات الرومانية. فهناك من دعا إلى الاخذ بالانتقام كسبب رئيسي ، و هذا الرأي الذي اتفق معه الباحث **فليب لوفو PH.LEVEAU** اي ان السبب الرئيسي بثورة ايدمون هو الانتقام لسيده ، و ليس الرغبة في الاستلاء على مملكة موريطانيا التي حرم منها . اما **مارسيل بنعبو BENABOU** يعتقد ان من بين الأسباب لاندلاع هذه الثورات هو تخوف القبائل المورية من ادارة قعالة و منظمة بشكل جيد قادرة على ان تفرض عليها شروطا جديدة و ثقيلة عوض الادارة الملكية البسيطة و البعيدة ،يعني فقدان لحرية كبيرة في التصرف في الشأن المحلي ، في حين اعتبر البعض الاخر ان الأسباب لم تتبلور مع حدث اغتيال بطليموس بل لها جذور قديمة تتمثل في انشاء المستعمرات و تعززت على مرحلة الحماية التي مارستها روما على المملكة الموريطانياة منذ عهد يوبا الثاني و ابنه بطليموس ، و بذلك يمكن ان ننظر إلى انتفاضة المورييين كتسلسل لانتفاضة القبائل التي اندلعت في بداية عهد يوبا الثاني . اما مقدون فيري ان ايدمون لم يكن يهمه اخذ الثأر لبطليموس و تزعم المقاومة الموريطانية بكل اخلاص و تجرد بقدر ماكان يهمه الاستلاء على السلطة و ذلك للاعتبارت التالية : _ خبرته في الميدان السياسي و العسكري _ نوعية العلاقات الوثيقة التي تربطه بطليموس قد مكنته من معاينة مواطن الضعف و القوة في العلاقات الموريطانية الرومانية و اسرار السياسة بين الدولة _ اتخاذ كاليغولا لقراره القاضي باحتلال المملكة الموريطانية و تحويلها إلى ولاية رومانية جديدة .

فثورة ايدمون عرفت على انها انتفاضة عارمة مست نطاقا جغرافيا واسعا امتد من مدينة وليلي حتى ايول قيصرية ، ثم ان حركته لم تقتصر على صنف من السكان او القبائل ، اي الرحل الجيتوليون ، بل شملت معضم القبال و طوائف السكان التي اخل الاستيطان الروماني بانماط عيشها و فرض عليها حصارا خانقا . و كان ماركوس فليريوس سيفيروس ابن

بوسطار (M . valeruis severus) على رأس القوات التي حاربت ايدمون و قد تدخل العديد من القادة الرومان الكبار بحملات عسكرية منظمة . و استقدام فرق من الفيلقين الموجودين باسبانيا ، بالاضافة إلى الفرق من القوات المساعدة المؤلفة من سكان وليلي المساندين للرومان ، و كمكافأة لهذه المساعدة ، اعطت الادارة الرومانية مدينة وليلي و سكانها عدة امتيازات من بينها ارتقاء المدينة إلى المصاف بلدية و اعفاء سكانها من الضرائب لمدة عشر سنوات . و الشيئ نفسه يمكن قوله عن لكسوس ، كما ان نتائج الابحاث الاثرية اثبتت ان الاحتلال الروماني بموريطانيا فقد عرف على اثار للتخريب و الحريق بكل من تمودا و ليكسوس و وليلي خلال هذه الفترة ، لها علاقة حسب رأيهم بالاحتلال الروماني و ثورة ايدمون .

وقد تميزت هذه الثورة بالعنف ، و هو ما دلت عليه تنقيبات الاثريين من تخريب و تدمير العديد من المدن بالاضافة ال مقتل عدد كبير من الوليليين مما حدا بالادارة الرومانية إلى السماح بالزواج بالنساء الاجانب و كذلك السماح باستعمال اليد العاملة في اعادة استغلال البوادي المجاورة لوليلي كما تشير إلى ذلك نقيشة ماركوس باليريوس سيفيريوس ، وهكذا تم وضع حد لنظام الحماية الذي استمر من 25 ق.م إلى 40 م حيث تشير مختلف القرائن ان نظام الحكم الذي طبقه اغسطس في موريطانيا الغربية شبيه بالنظام الذي طبقه في دالماسيا و رايتيا ، و يدخل هذا ضمن سياسة احتواء كل مناطق البحر الابيض المتوسط .

لم يكن القضاء على ثورة ايدمون إلا مرحلة من مراحل تعدد المواجهات بين روما و القوى المورية في موريطانيا ، حيث شكلت القبائل المورية مصدر القلق و الاضطربات فتتابع هذه الانتفاضات بين ان موريطانيا قد دخلت في منعرج جديد نتيجة انفجار الوضع بعد مقتل الملك بطليموس ، و ان نمط خطة الحكم التي رعاها الامبراطور اغسطس و خلفه في موريطانيا لم يكن فعالا لكونه لم يتمكن من خلاله الرومان الانتقال من مرحلة الحماية المقنعة إلى مرحلة الاحتلال والحكم المباشر دون ردود فعل عنيفة للاهالي .

ثم اندلعت في نفس الفترة ثورة اخرى قادها الزعيم الموري سالابس ، فتصدى لها الحاكم المولي كايوس ابتانوس و لكنوس ، و هي نفس الثورة التي اشار كل من بلين الشيخ و صولينوس و ديون كاسيوس إلى بعض احداثها بصفة مختصرة . و يرجع مصطفى اعشى سبب فشل الانتفضات ضد الرومان ترجع إلى عدة أسباب منها : ان الزعيمين الموريطانيين لم يتمكنا من تحقيق انتفاضة عامة تجمع كل الموريطانيين ، المدة القصيرة التي استغرقتها انتفضتهما و التي انتهت بموت احدهما والقاء القبض على الاخر دون تحقيق مبتغاهم ، هذا بالاضافة إلى مشاركة بعض الموريطانيين إلى جانب الرومان . عدم التكافؤ بين الجيش الروماني و الجيش الموريطاني سواء ما يخص العدة و العتاداو الطرق الحربية ، كذلك

الخلافات الداخلية التي كان يعاني منها المجتمع الموريطاني و أيضا عدم التنسيق بين مختلف الحركات التي حاولت التصدي للغزو الروماني .

كما ان مختلف هذه المصادر سواء الادبية او الابحاث الاثرية (النقائش) لم تعطينا او تمدنا باسماء القبائل التي ساعدت الزعيم سلابس، و لا بمعاهدة السلم التي اتفق عليها هوسيدوس جيتا مع الزعيم الموري . الا ان ما يتفق عليه ان الحرب انتهت سنة 43 م بانتصار القائد هوسيدوس جيتا الذي انهى التهدئة منتصرا مرتين على القائد الموري سلابس و استسلامه ، و نتيجة لبخل المصادر ، لم تثر ثورة سلابس انتباه العديد من الباحثين المحدثين الذين تناولوا احداث القرن الأول من تاريخ الامبراطورية الرومانية ، او الذين درسوا احداث ما بعد مقتل بوطليموس في موريطانيا .

3 – اشكالية تقسيم موريطاني (موريطانيا الطنجية _ موريطانيا القيصرية) :

اختلفت اراء الباحثين في ما يخص تتقسيم _ موريطانيا _ موريطانيا الطنجية بالغرب و موريطانية القيصرية بالشرق بعد ان كانت مملكة مستقلة مثبتة على الاقل في عهدي يوبا الثاني و ابنه بلطيموس الذي اغتيل سنة 39 – 40 م في ظروف غامضة ، فنص بلين الشيخ يشير إلى ان تقسيم موريطانيا كان على عهد كاليغولا الذي تولى الحكم ما بين سنة 37 – 41 م . بقوله :

« En Afrique on trouve d’abord les payes appelés mauritaniens , juqu’à G.cesar . (Caligula) fils de Germanieus , ce furent des royaumes ce cruauté les divisa en deux provinces … »

وقد اعتمد كوتولا (t) Kotula على روايتي كل من ديون كاسيوس و بلين الشيخ للدلالة على ان الجيوش الرومانية تدخلت عسكريا في موريطانيا خلال فترة حكم الامبراطور كاليغولا، ونستنتج من هذه الشهادة ان موريطانيا تحولت بسبب اغتيال بلطيموس إلى اقلمين رومانيين. مع العلم انهما شكلتا مملكة واحدة حتى بداية حكم هذا الامبراطور. الذي لم يعاصر ميلاد هاتين الولايتين الجديدتين فانه على الاقل خاض حروبا لهذا الغرض.

بالمقابل هناك فريق من الباحثين يذهب إلى ان هذا التقسيم كان في عهد الامبراطور كلاوديوس الا انهم اختلفوا في تحديد تاريخ دقيق لهذه العملية، فكركبينو يشير إلى انه بعد ان أصبحت موريطانيا ولاية رومانية بقى امر تنظيمها وهو ما قام به كلاوديوس في السنين الأولى من حكمه، وبهذا فان طنجي أصبحت لاول مرة مندمجة داخل موريطانيا و بعد ذلك فان المملكة التي كانت موحدة في عهد حكم يوبا الثاني و بلطيموس قد قسمت ربما في سنة 46 م. إلى ولايتين او إقليمين منفصلين يحدهما واد ملوية, وهو نفس النهر الذي كان يعتبر حدا فاصلا بين مملكة بوغود و مملكة بوخوس الثاني ونصب عليهما حاكمين من طبقة

الفرسان (Procucateurs équestre)، مقيمين الأول بقيصرية (caesarea) بالنسبة لموريطانيا القيصيرية و الثاني بطنجة بالنسبة لموريطانيا الطنجية. اما اخرون فيرون ان التقسيم صحيح كان في عهد كلاوديوس في سنة 40 م، والذي قام بتقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين او قسمين، و قام بتعيين حاكم من الفرسان في كل من الولايتين، وهو ما يفسر حرس الامبراطور على ان تكون مراقبة مباشرة عليهما. وكان اختيار هذا النوع من التنظيم مقسود حيث كان خاصا بالولايات المستقرة . و بالاضافة إلى هذا التنظيم كان الامبراطور في الفترات الحرجة يجمع سلطات الولايتين بيد واحد، وذلك بأن يصبح البروكاطور او الوكيل « Legat » ، كما ان ظهور المناصب الاستثنائية دليل على ان الاوضاع كانت غير مستقرة في الولاية . و كان الامر يتطلب تدخل القوات الرومانية من حين إلى اخر لتوفير الهدوء و القضاء على الانتفضات .و حسب مصطفى اعشى و انه رغم صعوبة تحديد تاريخ قرار تقسيم المملكة الموريطانية إلى مقاطعتي من طرف كلاوديوس (41 – 54 م) الا ان التقدمة المرفوعة من قبل وكيل الامبراطور بموريطانيا الطنجية فاديوس سيلير فلافنيوس ماكسيموس ، تؤكد انه يعود إلى الفترة الفاصلة ما بين 25 يناير 44م و 46 م .

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية **قسم التاريخ و الاثار**

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس الخامس :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

الغزو الوندالي لبلاد المغرب

1- التعريف بالوندال و ظروف غزوهم للبلاد المغاربية:

- **التعريف بالوندال:** معرفة الموطن الأصلي للوندال من الصعوبة بمكان، وهذا لتضارب الروايات و أراء المؤرخين في هدا الموضوع. وكل ما يمكننا ان نستشفه من الروايات الأربع الأساسية التي تناولت تاريخ الوندال، هو ان هذه العناصر انحدرت من السلالات النوردية(الشمالية).

ويري كورتوا (C.courtois) ، وهذا اعتمادا على علم المواقعية Toponymie ان اسم الوندال_ربما_ يكون مشتقا من اسم قرية سويدية تدعى« وندال Vendel » في اوبلاند، و هو ما جعله يرى في هذه المنطقة موطنا أصليا للوندال و هذا خلافا للدراسات اللغوية التي تعتبر الوندال اقرب من الدانمركيين منهم إلى السويديين. و على لعموم، و حتى إذا كانت معلوماتنا الحالية لا تسمح لنا بإثبات الأصل الاسكندينافي الوندال، فان تاريخ الوندال يبدا في الوقت الذي سمحت لنا الدلائل الأدبية بتحديد مواقعهم في سهول أودر (Oder) و فيستول العليا، ففي أوائل عصر البرونز _ حوالي 1800 ق.م كانت الشعوب الجرمانية تحتل فقط الجزء الساحلي من البلطيق، و انتشرت فيما بعد على ضفاف الدانوب و الراين، حتى وصلت إلى بلاد الكلت، بينما نجد هذه الشعوب في العصر البرونزي الثاني (مابين 1350-1200ق.م) في أوروبا الوسطى، و خصوصا في الألب و أودر فيستول، وفي هذه المناطق نعثر على حضارة تعود إلى عصر الحديد، لا يمكن ان تكون لا جرمانية و لا كلتيا، فهي حضارة وندالية محضة، إذ سبقت الوندال إلى هذه المنطقة قبائل جرمان الشرقية، ومن بعدهم جاء اللومبارديون و القوط.

ويكاد يحدث إجماع بين المؤرخين على إقامة الوندال في منطقتي أودر و فيستول ، قبل ان تأتي الغزوات الاسكندينافية من القسم الشمالي لجرمانيا ، و التي دفعت الوندال إلى الجنوب ، إلى جبال (Geant) . و في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (167م) ، وعلى اثر اندلاع حرب ماركومانوس (Marcomans) اتجهوا إلى اقاليم داقيا (Dacie) حيث استقر على الراين و الدانوب ، قبل ان يتعرضوا لضربات القوط (290 م) التي دفعتهم بدورها إلى الاستقرار بين تييس و ماروش (Theisset Marosch) في إقليم ترنسلفانيا ، بينما نحدهم في اواخر القرن الرابع (392 م) في إقليم بانونيا ، في اوائل القرن الخامس، و بعد انهزامهم أمام الفرنك (409 م) في غالة ، تسللوا إلى اسبانيا ، و أمام عجز الامبراطور هونوريوس (Honorius) في الدفاع على امبراطوريته، انتشر الوندال في شتى ارجاء اسبانيا . و بعد صراع طويل مع الرومان دام حتى سنة 422 م ، خربوا اثناءها اسبانيا اضطهدوا الكاثوليك ، هاجموا جزر البيليار سنة 425 و سواحل موريطانيا سنة 428 م ، و

في هذا الوقت بدات تظهر نواياهم في التوسع إلى ابعد من اسبانيا ، وهي النوايا التي سيجسدها« جنسريق» مستغلا الظروف التي كانت تعيش فيها منطقة المغرب ، اثر الصراع اذي شب بين بلاكيديا (Placidia) و بونيفاس .

2 – ظروف غزو الوندال للبلاد المغاربية : لم تزعزع وفاة الامبراطور " هنوريوس " Honorius سنة 423 م اخلاص والي إفريقيا " بونيفاس" اتجاه العائلة الامبراطورية ، فلم يعترف بيوحنا (Jean) الذي اعلن نفسه امبراطورا في ايطاليا ، فوقف بونيفاس إلى جانب بلاكيديا و ابنها فلانتيانوس (Vallentien) البالغ من العمر انذاك (4) سنوات.

كان لجهود بونيفاس الاثر الفعال في هذه الظروف، ومن الطبيعي ان تكون بلاكيديا مدينة له بالعرش اعتلته باسم ابنها. و هو ما اظهرته في اول الامر تجاه هذا الشخص الذي كانت تراه الاجدر و الاصدق في الدفاع عن الامبرطورية، لكن اطماع ايتيوس(Aetius) سرعان ما تنزع لفلانتيانوس الثالث أعظم قادته" بونيفاس" و أغنى مقاطعاته "إفريقيا" ، و ذلك بإثارة بلاكيديا على بونيفاس، خاصة بعد إقناعها بضرورة دعوته إلى رافن (Ravenne) سنة 427 م ، حيث كان رفض هذا الأخيرالاستجابة للدعوة في نظر الوشاة دليلا كافيا على نوايا بونيفاس الاستقلال بإفريقيا ، فكان من نتائج ذلك إرسال قوات لإخضاع المتمرد ، لكن هذا الخير هزم القوات الرومانية ، فما كان من مستشاري الإمبراطورية و ابنها إلا جمع قوات جديدة ومعتبرة وضعت تحت قيادة سجسفوات (Sigisvult) القوطى الذي يبدو انه استولى على هيبو- ريجيوس (عنابة) و قرطاجة ، أوائل 428 م . و أمام خطورة الوضع أدرك بونيفاس انه لا يمكنه الوقوف في وجه كل قوات الإمبراطورية الرومانية ، وهو ما دعاه إلى الاستنجاد بالوندال .

إذا كان جوليان يشك في رواية الاستنجاد هذه الواردة عند بروكوبيوس و جوردانيس (Jordanes) ، فان بروسبير المعاصر للأحداث ، قد أكد لنا استنجاد الطرفين ، بونيفاس و سجسفوات ، بالوندال ، و هذا خلافا لهيداتيوس (Hydatius) الذي اعتبر هجرة الوندال إلى بلاد المغرب نتيجة منطقية ، بعد الهجومات التي استهدفت موريطانيا الطنجية سنة 428 م ، و هي الهجومات التي يمكننا اعتبارها بمثابة عمليات جس النبض من طرف الوندال ، تجسسوا خلالها إمكانيات غزو إفريقيا ، ووجدوا ان الظروف مناسبة ، ليس بسبب تمرد بونيفاس فحسب ، بل كان الوضع العام في إفريقيا مهيأ ، فكانت الثورات المحلية واحدة تلو الأخرى ، بسبب إرهاق السكان بالضرائب ، بالإضافة إلى الاضطهاد الديني الذي كان يمس خاصة الدوناتيين .

إذا كان الوضع في إفريقيا ملائما للحملة الوندالية ، فان اسبانيا بدورها لم تكن مواتية للوندال ، فكان على الوندال هنا مواجهة لا الرومان فحسب ، بل أيضا القوط الأعداء التقليديين الذين سبق لهم الإغارة أكثر من مرة على شبه الجزيرة ، إضافة إلى ان فترة القلائل التي عاشتها

اسبانيا منذ دخول الوندال ، جعلتها تستنفذ خيراتها ، و لم يعد بإمكانها ان تقدم شيئا لهذه الأقوام الراغبة في النهب و الثراء . فلا نستبعد ان تكون ثروات إفريقيا قد استهوت قادة الوندال ، وعلى رأسهم جنسريق الذي كان يبحث عن الشرعية لحكمه ، فأراد ان ينسى قومه بحملة ناجحة ، انه هو الابن غير الشرعي الذي قتل شقيقه (قوندريك) (GUNDERIC) ليصل إلى الحكم .

و يذكر أيضا من الأسباب التي دفعت الوندال لاجتياز المضيق ، الأمل الثابت في ان يسرع الأهالي لمساعدتهم ، من المور ، وكل المتعصبين و المضطهدين و الرومان غير الراضيين ، بالإضافة إلى الكونت بونيفاس .

3-حملة الوندال على بلاد المغرب:

اجتاز جنسريق مضيق جبل طارق رفقة كامل شعبة المقدر بحوالي ثمانين(80) ألف نسمة، منهم خمسون(50) ألف جندي ، لكن سرعان ما تتضاعف قواته بمن ينضم إليه من الأهالي ، الذين عانوا الأمرين من الرومان، فخرجوا لاشفاء غليلهم من الطغاة المستبدين الذين أبعدوهم عن أراضيهم و سلبوهم خيراتها . و نفهم من جيبو ان الوندال لم يجدوا فقط الأهالي إلى جانبهم، وإنما حتى الرومان أنفسهم، الذين فضلوا فوضى الوندال على قساوة الإدارة الرومانية، حيث نجد فظاعة و قساوة الضرائب التي أثقلت كامل مجموع الملاكين الحضريين منهم و الريفيين، التي لا شك أنها كانت وراء وقوفهم إلى جانب الوندال نذكر الدوناتيين المتعطشين للانتقام من الكاثوليك الذين شردوهم و جردوهم من ممتلكاتهم و اضطهدوهم شر اضطهاد، وهو ما دفعهم، لا إلى الانضمام إلى الغزاة فحسب، بل عملوا حتى استمالة القوط الذين أرسلهم الإمبراطور لمحاربة الوندال.

يبدو ان الوندال لم يصطدموا بمقاومة تذكر قبل الوصول إلى حد نوميديا، رغم ما صحب حملتهم من أعمال النهب و التخريب و التقتيل و التعذيب على ما يذكر بوسيديوس و فيكتيور دي فيتا.

تقدم جيوش الوندال، و عجز الرومان في التصدي لهم، رغم تراجع بونيفاس الذي أدرك خطورة الخطوة التي خطاها، عندما استنجد بالوندال، و محاولته وقف زحفهم بعد التصالح مع بلاكيديا، لكنه اضطر إلى الانسحاب إلى هيبو _ ريجيوس (عنابة) بعد هزيمته في المعركة الأولى، وهي المدينة التي لم يتأخر الوندال في حصارها لمدة أربعة عشر شهرا، و رغم حصول اسبار على رأس قوات جديدة و انضمامه إلى بونيفاس، فقد انهزم الاثنان، و استولى جنسريق على المدينة سنة 431 م.

كان من نتيجة وفاة بونيفاس بشهور قليلة بعد تعيينه قائدا أعلى ان جعلت إفريقيا بدون حام، مما اضطر ايتيوس إلى عقد اتفاقية هيبو – ريجيوس مع جنسريق (11 فبراير 435 م)

والتي يبدو انها اكدت شروط المعاهدة الأولى (431 أو 432 م) التي هيمونوا بموجبها لا على مقاطعات موريطانيا الثلاث فحسب ، بل أيضا على جزء من نوميديا، و ليظهر جنسريق نوياه السلمية – على ما يذكر بروكوبيوس-

تعهد بدفع غرامة سنوية للامبراطور ، مقابل الاراضي التي استولى عليها ، كما بعث بابنه هونريك إلى روما كرهينة .

تخلى جنسريق على المعاهدة المذكورة ، بعد ان استعاد ابنه ، فاستولى على قرطاجة (19 اكتوبر 439 م) دون مقاومة تذكر، و اخذ بعدها يعد العدة لمهاجمة جزر المتوسط ، بعد ان جهز لذلك اسطولا ، فكانت معاهدة 442 م التي كانت لصالح الوندال الذين بسطوا نفوذهم على كل البروقنصلية و في سنة 455 م استولى الوندال على ما تبقى في يد الرومان بموجب معاهدة 442 م ، كإقليم طرابلس و الموريطانيات الثلاث و مدوا نفوذهم على كل الإقليم الشرقي من قابس إلى معبد الفيلان ، و سيطروا بذلك على إفريقيا ظاهريا على الاقل ما يقرب قرنا من الزمن .

4 – حدود السيطرة الوندالية :

قلنا سابقا ان الوندال استولوا سنة 455 م على ما تبقى في يد الرومان ، و سيطروا بذلك على إفريقيا ، لكن و رغم الخلاف الواضح بين المؤرخين ، يبدوا ان السيطرة الوندالية على إفريقيا لم تكن كاملة و قد حصرها كثير من المؤرخين في الولايات الشرقية ، ومن بين هؤلاء المؤرخين نذكر كورتوا الذي يرى ان كل المعطيات الاثرية من نقوش و مسكوكات ، تدعم فكرة حصر دولة الوندال في الولايات الشرقية و لكن هذا لا ينفي من وجهة نظر نفس المؤرخ ان يكون للوندال بعض نقاط الارتكاز على السواحل مثل تافزة (تيبازة) ، قيصرية ، سبتة ، معتدا على اشارتي فيكتور دي فيتا و بروكوبيوس ، اذ اشار الأول إلى عملية قطع الالسنة التي تمت في تيبازة ، رغم اننا لم نجد عند غيره ما يدل على احتلال الوندال لهذه المدينة ، بينمااشار الثاني إلى ارسال بيليساريوس (Belisaire) لاحد قواده للسيطرة على قيصرية ، و اخر لاسترجاع سبتة . لكن هذه الاشارات لا تدل على الحاق الولايتين (القيصرية و الطنجية) بالممتلكات الوندالية . ومما يدعم ذلك افلات المنحدر الجنوبي للاطلس المتيجي من السيطرة الوندالية و الذي كانت السيدة فيه منذ سنة 474 م لامير محلي يدعى " يقمينا"(Iugmena) وفق نقش البرواقية ، و يكفينا دليلا على السيطرة الجزئية للوندال ، ما نجده من تقسيم جنسريق لامبراطوريته إلى خمس مقاطعات ، تتركز كلها في المنطقة الشرقية : 1 – المزاق (Byzacène) ، 2- نوميديا ، 3- اباريتان (Abaritane)، 4- الجيتول (الجريد و المناطق الجنوبية) ، 5- زغوان (Zeugitane) اضف إلى ذلك النصوص العديدة التي تتحدث عن ممالك مغربية محلية ، كانت تربطها بالوندال علاقات مختلفة ، سنتعرض لها في اوانها .

5- موقف الاهالي من الوندال :

اذا كنا لا نستطيع القول ان العلاقات بين الوندال و الاهالي كانت طيبة ، لان النزاعات بين الطرفين لا يمكن نكرانه على ما يفهم من بروكوبيوس فان المؤكد ان نوعا من التعاون كان موجودا بين الطرفين ، يعود إلى ما قبل الحملة على روما سنة 455م ، مادام هؤلاء " المور " قد شاركوا في الحملة على ما يذكر فيكتور دي فيتا ، كما شاركوا في الحملات الموالية و لهم على ما يفهم من بعض المؤرخين اوكلت مهمة الدفاع عن سردينيا، بعد احتلالها من طرف الوندال ، وهو ما يبرهن بطريقة او باخرى في نظر كورتوا على الوفاق بين الطرفين .

و مما يدعم هذه العلاقات الطيبة بين الطرفين ، ما ذكره فيكتور دي فيتا ، من نفي مارتينيانوس و اخوته إلى مملكة كابسوس (Capsus) التي يحاول كورتوا ، تحديد موقعها بشيئ من التحفظ إلى الجنوب الغربي من مقاطعة المزاق .

يمكننا الاقرار عموما مع صاحب "حرب الوندال " ان الظروف تغيرت على اثر وفاة جنسريق ، و بدات ثورات الاهالي بدون هوادة ، منذ عهد هونوريك ، الذي غطت الحروب كل عهده ، هو ما ادى بدون شك إلى اعلان الاوراس الاستقلال قبل وفاة هونوريك بقليل على ما يفهم من بروكوبيوس و يمكننا القول مع كورتوا ان ثورة الاوراس تعد حدثا اساسيا في مملكة لوندال ، لا لانها مست الوندال في قوتهم الاساسية ، و لا لانها سببت لهم هزيمة كبرى ، لكن لان معها تبدا في الظهور في المناطق الخاضعة للوندال ، تلك الممالك التي بدات تنمو في إفريقيا المستقلة عن الوندال .

مع ذلك كل ما نعرفه عن هذه المملكة (مملكة الاوراس) في عهد الوندال هو استلاؤها على ثاموقادى و بغاي ، الذي يبين لنا نزول سكان الاوراس إلى السهول ، بالاضافة إلى استلائها على المناطق الخصبة و الغنية غرب الاوراس و المجاورة لمملكة الحضنة . و هي المملكة التي نجدها في اوائل العهد البزنطي تحت حكم يوداس (Iaudas) على ما يذكر بروكوبيوس و الذي كان تحت تصرفه (30000) محارب ، و تمكن من مد نفوذه إلى الجنوب الشرقي من قسنطينة الحالية .

اذا كنا لا نكاد نعرف عن مملكة كابسوس غير اسمها و انها كانت موجودة قبل سنة 477م ، فهو أيضا شأن مملكة ماسوناس (Massonas) ، التي لا يمكننا تحديد مجالها الجغرافي رغم ميل كورتوا إلى النمامشة ، بينما نجد انتالاس (Antalas) ملكا على المزاق .

لم تتوقف ثورات المور على اثر وفاة هونوريك ، بل تزايدت في عهد خليفته " قوثاموندوس" على ما يذكر بروكوبيوس و قد تكون غارتهم وراء اختفاء " لوحات البرونتي " Tablettes d'albertini في وقت لاحق (21 افريل 496 م) ، و هي الفترة التي كان على الملك ان يدافع فيها أيضا عن السكان الذين كانوا يتعرضون للنهب لكن هذه الغارات كانت من الشدة لدرجة ان القديس فولجانتيوس(Fulgence) اضطر إلى مغادرة(المونستير Monastere) إلى منطقة المدينة القديمة (Thelepte) و يبدو انه بعد ذلك بقليل لمتفلت من جنون الحرب هذه غير المناطق الساحلية للمزاق .

أمام هذا الخطر المتزايد قرر هلدريك ارسال قوات تحت قيادة هلديمير (Hildimir) الذي برهنت هزيمته على ان انتالاس كان سيد الموقف و لم يعد بامكان الوندال التصدي لثروات الاهالي التي عمت مختلف مناطق البلاد ، و حصرت الوندال في البروقنصلية و مناطق محدودة من المزاق ، و هو ما سهل بدون شك مهمة البيزنطيين ، و الا كيف نفسر عنملية الاستعداد التي تمت بستة عشر (16) الف رجل بقيادة بيليساريوس ، منهم ستة (6) الاف فارس فقط .

رغم اننا لا نجد اي نص يسمح لنا بالتأكيد ان هزيمة هلدريك كانت عاملا مشجعا ليوستينيانوس للقيام بالحملة على إفريقيا ، لكن ذلك غير مستبعد لعاملين : يكمن الأول في تتبع يوستينيانوس (Justinien) للاحداث بإفريقيا ، خاصة منذ عزل هلدريك (Hildèric) ثانيهما في عدد الرجال الذين ارسلهم ، فلو لم يكن على دراية بالوضع الذي آل اليه الوندال ، لما غامر بارسال مثل هذا العدد ، خاصة و ان إمبراطورية الشرق سبق لها و ان ذاقت الأمرين على يد الوندال ، و إذا علمنا ان ثلاثة أسابيع كانت كافية لبيليساريوس لدخول قرطاجة ، أدركنا الظروف التي آل إليها الوندال في إفريقيا بفضل الثروات المحلية .

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ و الاثار

مقياس : تاريخ بلاد المغرب من القرن الاول ق.م الى القرن الخامس ميلادي

السنة الاولى ماستر : تاريخ و حضارة المغرب القديم

الدرس السادس :

اعداد الدكتور : اونيس ميلود

السنة الجامعية 2019 – 2020

الغزو البيزنطي لبلاد المغرب

1-التعريف بالبيزنطيين و ظروف غزوهم للبلاد المغاربية:

-التعريف بالبيزنطيين: يمكننا ان نعتبر يوم11 مايو 330 م، الذي أصبحت فيه مدينة بيزنطة العاصمة المسيحية للإمبراطورية الرومانية، البداية المنطقية للدولة البيزنطية، رغم استمرار الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية ظاهريا في عهد قسطنطينوس (Constantin) و بعض خلفائه، لكن القسطنطينية، لم تكن عاصمة شكلية، لا في المجال الديني و لا المادي، فقد استطاعت بفضل موقعها ان تكون مركز ارتكاز للهلينية، التي أعطت دائما للولايات الشرقية خصوصياتها و طابعها و حتى مؤسساتها، وهو ما يفسر لنا سرعة تطور إمبراطورية الشرق غداة وفاة ثيودوز (Theodose) و تقسيم الإمبراطورية الرومانية بين اركاديوس (الشرق) و هنوريوس (الغرب) سنة 395م، التاريخ الذي اعتبر بداية الوجود الرسمي للإمبراطورية البيزنطية.

إذا كانت روما قد تعرضت لضربات القبائل الجرمانية المدمرة، فان بيزنطة رغم عدم إفلاتها من هذه الضربات، فهي لم تعان من سيطرة هؤلاء على أراضيها، و هو ما سيمكنها فيما بعد من القيام بما عرف بـ: « حركة الاسترداد في عهد بوستيتنيانوس»

2-أسباب و عوامل الاحتلال:

إذا كان طموح يوستينيانوس (Justiien) الراغب في إنشاء إمبراطورية عالمية و استرداد أمجاد الإمبراطورية الرومانية على ما يذكر بعض المؤرخين وراء الحملة، فإننا نجد جملة من الأسباب و العوامل التي تكون قد عجلت بذلك، يمكننا إيجازها في الصراع الديني القائم آنذاك بين الكاثوليكية و الاريوسية، و ما نجم عنه من تعرض كاثوليكي إفريقيا لمتابعات و اضطهادات عديدة طيلة فترة حكم الوندال الاريوس (429-533م)، الذين نعتوا بـ : « أعداء الروح و الجسد » في قانون يوستينيانوس، فكان من الطبيعي، ان يلجا هؤلاء إلى إمبراطورية الشرق طلبا للنجدة.

كان في القسطنطينية في هذا الوقت عددا كبيرا من الأفارقة ضحايا الاضطهادات الوندالية، وعدد ضخم من الأساقفة الذين كانوا عرضة للتعذيب الوندالي و حول كل هؤلاء التف الارثوذكس يتوسلون من الامبراطور التدخل .

كما اظهر هلدريك (Hildiric) تسامحا كبيرا اتجاه الكاثوليك ، قد تكون صداقته ليوستينيانوس وراء ذلك ، و هو ما اثار استياء الوندال ، كما كانت الهزائم العديدة التي منيت بها الجيوش الوندالية أمام الاهالي خاصة في المزاق ، وراء استياء الجيش و ابعاد هلدريك ،

و لاتيان بجلمير (Geilimer) إلى الحكم ، و هو ما تسبب في انقسام عميق في صفوف الوندال ، و تدخل الديبلوماسية البيزنطية .

اضف إلى الانقسام في صفوف الوندال ، الثورات المحلية ، التي لم تكن اقل احراجا للسلطة الوندالية ، اذ لم تتأخر القبائل المحلية في العمل على التخلص من سلطة جنسريق ، حيث اعلن الاوراس الاستقلال منذ عهد هونوريق Huniris (477 – 484 م) دون ان يتمكن الوندال من اخضاعهم ثانية . بعد الاوراس يأتي دور الحضنة و الزيبان ، فكانت هذه الثورات التي لم تجد رادعا لها وراء نزول الاهالي إلى السهول ، و اجتياز خطوط الحصون الرومانية ، التي كانت تحول سابقا و الوصول إلى الهضاب العليا النوميدية .

في عهد تاراسامندوس (496 – 522 م) Trassamund كانت ثورة طرابلس بقيادة قاباون Gabaon ، في عهد هندريك تكمن قبائل المزاق من الحاق الهزيمة بجيوس الوندال اكثر من مرة ، فكانت كل هذه الثورات وراء ارهاق امكانيات الوندال ، و اضعاف جيوشهم و الحد من نفوذهم الذي بدا ينحصر شيئا فشيئا .

اذا اضفنا كل هذه العوامل ، تجبر جلمير ، و قصر نظره ، زيادة على انحياز قوط ايطاليا (Ostirogths) إلى يوستينيانوس ، بعد اغتيال امالافريد (Amalafride) زوجة تراساموندوس القوطية ، و كذا ثورتا طرابلس و ساردينيا و ادركنا العوامل التي ستساهم بدون شك في إنجاح الحملة .

3-الحملة على إفريقيا :

قرر يوستينيانوس التدخل العسكري في إفريقيا ، بعد فشل مساعيه الرامية إلى اعادة هلدريك إلى منصبه او اخلاء سبيله و السمح له بالهجرة إلى القسطنطينية ، و هو القرار الذي اثار ضجة في مجلس الامبراطوري ، اذ كان الكل متخوف ، على ما يفهم من بروكوبيوس ، لدرجة ان بعضهم ضخم مخاطر هذه الحملة ، التي لا طائلة من ورائها ، حسب تعبير يوحنا كبادوكيا . حتى كاد يوستينيانوس ان ييأس بدوره و يشك في امكانية نجاحها ، لكن لا شك ان الضغوط الدينية و المعلومات الدقيقة التي استقاها من الاساقفة الافارقة عن موقف سكان إفريقيا ، و الوضع في مملكة الوندال ، هي التي كانت وراء اتخاذ القرار القاضي بارسال الحملة .

اقلعت الحملة في اليوم الثاني والعشرين من يونيو (جوان) سنة 533 م بقيادة احسن قادة الامبراطورية بيليساريوس ، الذي عين على رأس ستة عشر الف محارب بين مشاة و فرسان . نزلوا في منتصف سبتمبر عند رأس كبوديا (Caput-Valda) إلى الجنوب من خضرموت (سوسة) بعد ثلاثة اشهر من الابحار ، و رغم ان بعض مساعدي بيليساريوس قد طلبوا منه الابحار ثانية ، و التوجه نحو قرطاجة مباشرة ، غير انه فضل ان يسلك

الطريق البري الساحلي عبر سلقطة (Sellectum) و لمطة(Leptis Minors) و سوسة (Hadrumète) و قراس (Grasse) و هي المناطق التي اجتازها دون عناء على ما يفهم من بروكوبيوس.

عندما وصل إلى جلمير خبر نزول البيزنطيين بإفريقيا، و هو في هيرميون Hermion أسرع بالكتابة إلى شقيقه اماتاس Ammatasفي قرطاجة يأمره بقتل هلدريك و المقربين منه، و تجنيد الوندال و الاستعداد للانتقال إلى سيدي فتح الله Decimum المكان الذي اختاره جلمير لمعركة كبرى، كانت ستوقف الزحف البيزنطي، لولا الهفوة التي ارتكبها اماتاس و التي ستكون سببا في انحدار الوندال في هذه المعركة، و زوال دولتهم من الوجود فيما بعد كانت خطة المعركة تقتضي بأن يخرج « أماتاس » من قرطاجة، و يتقدم لوقف البيزنطيين عند مضيق سيدي فتح الله_ على بعد 15 كلم من قرطاجة بينما يهاجم جيبا موند (Gibamund) ابن عم جلمير ميسرة جلمير الجيش البيزنطي على رأس ألفي مقتل، في الوقت الذي يهاجمهم فيه جلمير من الخلف.

كانت الخطة مدبرة بشكل جيد، و كان بالإمكان ان تكون لها نتائج وخيمة على الجيوش البيزنطية، لو حسن استغلالها، لكن وصول «أماتاس » قبل وصول باقي القوات الوندالية، و دخوله لمعركة دون باقي القوات، مكن يوحنا الأرميني (Jean l'Arménien) من التقدم نحو قرطاجة بعد إبادة قوات «أماتاس » الذي قتل في المعركة. تقدم جيبامونـد لمهاجمة ميسرة القوات البيزنطية، لكنه اضطر إلى التراجع قرب سبخة السيجومي، بعد ان ترك العديد من القتلى في الميدان. أما جلمير فقد فوت على نفسه الفرصة، رغم الانتصار الجزئي الذي حققه على البيزنطيين نتيجة انشغاله بجنازة شقيقه، ومكن بيليساريوس من جمع قواته و مباغتته، وبذلك حققت الجيوش البيزنطية انتصارا عريضا، تمكن على إثره بيليساريوس من دخول قرطاجة في اليوم الموالي (14سبتمبر533م) و بدون قتال.

عمل جلمير الذي فر إلى بولا_ ريجيا (حمام الدراجي)، بعد عودة شقيقه تازازون (Tazazon) من سردينيا، على استرجاع ما فاته، و تقدم نحو قرطاجة التي حاول إخضاعها بقطع الماء عنها، كما حاول إقحام بيليساريوس في معركة يختار لها المكان، لكن دون جدوى. وفي الخامس عشر من ديسمبر هاجمه الأخيرو هزمه في معركة تريكا ماروم (Tricamarum) التي لو كر فيها جلمير على البيزنطيين ساعة اقتسام الغنائم، لتغير منحى المعركة لكن تأثره بالصدمة الأولى ، و فراره إلى جبل (Pappua) فوت عليه الفرصة ثانية ، و في هذا الجدل ضايق عليه فاراس (Pharas) الخناق حتى استسلم في شهر مارس 534 م ، بعد 3 اشهر من الحصار .

بعد استسلام جلمير ارسل بيلي ساريوس بعض قواده لاسترجاع قيصرية (Caesarée) و سبتة (Septum) و بعض جزر المتوسط ، لكن البزنطيين سيصطدمون من الان فصاعدا بمقاومة اعنف و اشد تتمثل في مواجهة الاهالي .

4 –البزنطينيون في مواجهة الاهالي :

يذكر بروكوبيوس ان الاهالي التزموا الحياد في الصراع الدائر بين الوندال البزنطيين ، و اعتبر ذلك خبثا و مكرا منهم ، خلافا لديهل الذي اعتبره تاكتيكا تعود عليه الاهالي ، الذين رأوا في هذا الصراع استنزافا لقوة الخصمين . اما بعد انتهاء هذا الصراع ، فقد رأوا ان الوقت المناسب للثورة زد على ذلك ان الوعود التي قطعها البزنطينيون على انفسفهم لم ينفذوها و لم ينل الاهالي من البزنطينيين غير الخراب و الدمار ، اذ اثرت الحروب على الانتاج الفلاحي و كذا عودة الاضطهاد الديني و الضرائب ، و هي كلها عوامل تدعوا إلى حمل السلاح .

اذا كان البزنطينيون قد انتصروا على الوندال ، دون عناء يذكر كما اسلفنا الذكر ، فان الحرب الطويلة التي سيخوضها مع الاهالي ، تختلف تماما ، فلا تفوق الاسلحة البزنطية ولا القواعد التكتيكية تجدي نفعا مع الخصوم الجدد ، ففي مواجهة خفة الفرسان الاهالي تبدوا الجيوش البزنطية ثقيلة و بطيئة الحركة كما تعجز مناهج المعارك المنظمة التي تعود عليها القادة البزنطينيون ، أمام اسلوب الكر و الفر و الكمائن عند الاهالي .

ثورات الاهالي :

لم تكد السفينة التي تقل بلي ساريويس تغادر مناء قرطاجة سنة 534 م ، حتى ثار الاهالي في المزاق ، التي سيطروا عليها بقيادة كوتزيناس (Coutsinas) الذي كان و ثلاثة من زملائه على رأس خمسين الف من الاهالي ، و تمكنوا من افناء الوحدات البزنطية ، التي جاءت لنجدة المنطقة بقيادة ايقانويس (Aigan) وروفانوس (Rufin) ، و هو ما دفع سلمان الخصي (Salomon) إلى الاسراع إلى المزاق حيث دارت معركة ماما التي فقد فيها الاهالي عشرة الاف مقاتل ، و بذلك يكون سليمان قد حقق انتصارا ساحقا على الاهالي اذا صدقنا بروكوبيوس ، لكن تحدث نفس المؤرخ عن تلقي سليمان نبأ انتشار المور في المزاق على اثر وصوله إلى قرطاجة ، يدل على مبالغة مؤرخ الحملة و هي المبالغة التي لا تخفى على احد في حديثه عن المعركة الثانية في ضواحي جبل برقوان سنة 535 م ، التي فقد فيها الاهالي خمسين الف مقاتل دون ان يفقد الروم و لو مقاتلا واحدا .

في الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الاحداث في المزاق ، نزل يبداس Iabdas ملك الاوراس (صيف 535م) ، على رأس ثلاثين الف مقاتل ، يجوب الهضاب العليا النوميدية ، ووصل حتى حدود التل دون ان تتمكن الحاميات البزنطية من صده . فقرر سليمان اواخر

سنة 535 م غزو الاوراس بعد ان آمن جانب اورتاياس Ortaias ملك الحضنة و ماسوناس Massonas لكن الحملة فشلت بعد ازيد من اسبوع في مخانق الاوراس ، اضطر بعدها العودة إلى قرطاجة على امل ان يعاود الكرة في الربيع الموالي (536 م) ، لكن ثورة ستوتزاس Stotzas تسببت في ابعاده و عودته إلى القسطنطينية .

حملة سليمان الثاني : في سنة 539 م تمت دعوة جرمانوس إلى القسطنطينية و عوض بسليمان الذي نزل هذه المرة في قرطاجة بصفته والي البريتوار و قائد قوات إفريقيا ، و لم ينس خيبته في الاوراس سنة 536 م ، فقرر ان يهاجمها ثانية على اثر عودته ، و قد ابتسم له الحظ هذه المرة على ما يفهم من بروكوبيوس الذي يذكر ان الحملة وضعت حدا لتمردات المنطقة ، بل اكثر من ذلك يتحدث عن وصول سليمان إلى ضواحي المسيلة (زابي يوستينيانا) ، و اخضاع كل موريطانيا السطايفية ، لكن دون ان يعطي اية تفاصيل عن كيفية حدوث ذلك .

نعم البيزنطيون بأربع سنوات سلم بعد هذه الحملة (539 – 543 م) لكن تعيين سيرجيوس Sergius دوقا على إقليم طرابلس ، سيتسبب في ثورة قبيلة لواتة التي هاجمت لبدة ، و رغم تمكن القوات البيزنطية من صدها على ما يذكر بروكوبيوس ، فان ثورة إقليم طرابلس ، دفعت سيرجيوس إلى الفرار إلى قرطاجة ليستنجد بسليمان الذي خرج لملاقاة الاهالي عند حدود نوميديا – المزاق ، و رغم تمكنه في اللقاء الأول من تحقيق انتصار جزئي في ضواحي تبسة فقد انهزم في معركة كليليوم Cillium التي لقى فيها مصرعه 544 م .

كانت لمعركة كيليوم نتائج وخيمة على البيزنطيين ، فإلى جانب انتشار الفرسان الاهالي في المزاق ، اجتاز القوط لفريون مضيق جبل طارق ، و حاصروا سبتة ، زد إلى ذلك تعيين سرجيوس خلفا لسليمان و ما نجم عنه من انضمام ستوتزاس إلى انتالاس ، فتقدم كل هؤلاء و احتلوا حضرموت ، بعد ان هزموا دوق المزاق في معركة مينيفاز Ménéphese ، مماضطر قائد المشاة إلى التراجع نحو قرطاجة ، و هو ما اثار نزاعا على مستوى القيادة بين سرجيوس و يوحنا و هو ما عرف بأزمة سنتي 545 – 546 م .

على اثر هذه الازمة ارسل يوستينيانوس اريوباند Areobinde كزميل لسرجيوس ، فكلف الأول ، بقيادة الحرب في المزاق و الثاني في نوميديا و كان من نتائج الخلافات بين القائدين ان زحف الثوار على البروقنصلية و تمكنوا من القضاء على قوات اريوباند التي كانت تحت قيادة يوحنا الذي قتل في معركة برج مسعودي Thacia اواخر 545 م ، و رغم محاولة يوستينيانوس تدارك الوضع بدعوة سرجيوس إلى القسطنطينية و تعيين اريوباند قائدا اعلى لقوات إفريقيا ، فان اوضاع البزنطينيين زادت تفاقما عندما حدث تقارب بين كوتزيناس و يبداس وثوار المزاق ، مما دفع اريوباند إلى سحب فرقه نحو قرطاجة ، و تم بذلك اخلاء

نوميديا بكاملها و اجزاء واسعة من المزاق التي لم يبق فيها للبزنطيين غير بعض المواقع الساحلية .

ان استمرار تدهور الاوضاع في إفريقيا بعد اغتيال اريوباند في مارس 546م قد دفع يوستينياس إلى تعيين يوحنا تروقليتا، الذي تمكن من الانتصار على الاهالي إلى الجنوب الغربي من حضرموت 547 م و اعتقد انه انهى الحرب ، و اشعر الامبراطور بذلك ، لكن سرعانة ماتجددت المعارك اثر النداء الذي وجهه كركزان Carcasan ملك ايفوراس ، الذي استجابت له القبائل الطرابلسية المدعمة بالناسامونس و الجرامانت ، و تمكنوا من مد الثورة إلى المزاق و حدود البروقنصلية صيف 548 م بعد ان عمت إقليم طرابلس و تراجع تروقيلتا بعد هزيمته في قاليكا Gallica ، ووصل الاهالي حتى ابواب قرطاجة لولا الخيانة التي ادت إلى الهزيمة في حقوق كاتو و مقتل كركزان و سبعة عشر قائدا من الأهالي، و هو ما يكون وراء الهدوء الذي نعم به البيزنطيون على مدى أربعة عشر عاما.

تجددت الثورات على اثر مقتل كووتزيناس في قرطاجة(20 ديسمبر 563م)، واستدعى الأمر قدوم قوات جديدة من الشرق بقيادة ماركيانوس (Marcien) لتهدئة الأوضاع، و على اثر وفاة يوستينيانوس خلفه يوستينوس الثاني (Justin) الذي عين توماس (Thomas) واليا على إفريقيا، وتمكن هذا الأخيران يضمن بعض الاستقرار بفضل المفاوضات التي قام بها زعماء القبائل على ما يذكر كوربيوس:« ربح بالنصح شعوب لم يسبق لأحد ان أخضعها بقوة السلاح» لكن مدح كوربيوس لا يكفي يوستينيوس مؤونة، إذ سرعان ما عرفت المنطقة قلاقل أودت بحياة والي البريتوار سنة 568م و قائدي قوات إفريقيا لسنتي 569 - 570م اللذين قتلا من طرف الملك قاسمول (Gasumul)، الذي يبدو انه كون دولة قوية، على ما يفهم من محاولته غزو بلاد غالة.

رغم مقتل قاسمول سنة |578 من طرف جناديويس، و ما ذكره المؤرخون من سيطرة البيزنطيين على الوضع في إفريقيا بعد ذلك، غير إننا نجد في وصول المور إلى أبواب قرطاجة بعد ثورة 598 ما يدل على هشاشة الوجود البيزنطي خارج البروقنصلية، ولاشك أيضا ان الأحداث التي عرفتها الإمبراطورية بعد مقتل الإمبراطور موريس و ما أعقبها من صراعات حول العرش قدت أدت إلى تراجع النفوذ البيزنطي في المنطقة المغاربية.

5-حدود السيطرة البيزنطية:

هناك اختلاف واضح في مواقف المؤرخين حول حدود السيطرة البيزنطية في شمال إفريقيا، ففي الوقت الذي يرى فيه البعض، ان« الليمس البيزنطي » لم يخالف تمام المخالفة « الليمس الروماني » على الأقل في طرابلس و المزاق و نوميديا، يرى البعض الأخر ان البيزنطيين، لم يتمكنوا أبدا من الوصول بحدودهم الرومانية. لكن يبدو واضحا من

النصوص و الأحداث، ان البيزنطيين لم يسترجعوا كل ما كان بأيدي الرومان في السابق، و حتى إذا وجدنا يوستينيانوس يعتز و يفتخر باسترجاعه سنة 534م كل الأراضي التي كانت بأيدي الوندال، فإننا نعلم أيضا أن المملكة التي أنشأها جنسريق لا تشمل غير الجزء الشرقي من البلاد المغاربية.

وعليه يمكننا القول ان السيطرة البيزنطية في اقليم طرابلس كانت مقتصرة على السواحل ، اذ ادرك الاهالي على ما يفهم من النصوص السواحل ، فلبدة عاصمة الاقليم كانت عرضة لضربات القبائل المحلية ، و الاراضي الواقعة الى جنوب شط الفجاج ، التي كان يمر عليها الليمس الروماني في طرابلس حتى تالمين كانت خارج حدود السيطرة البيزنطية ، وهو ما مكن ديهل من التأكيد ان السلطة البيزنطية اكتفت من قابس حتى برقة بالطريق الساحلي الاستراتيجي ،و ان باقي الاراضي الداخلية كانت بايدي الاهالي .

وفي المزاق نجد خط الليمس يتبع طريق قابس قفصة ، هذه الاخيرة التي كانت بمثابة بوابة الصحراء و مفتاح التل ، اختيرت كمقر لدوقية المزاق ، اما في نوميديا فاذا كان البعض يعتقد ان البيزنطيين قد مدوا خط الليمس حتى الليمس الروماني – جنوب الاوراس – اعمادا على العديد من القلاع التي اقاموها في هذه الولاية ، فان ديهل يرى خلافا لذلك ، مذكرا بدخول يبداس الاوراس بعد سبع سنوات فقط من حملة سليمان ، و كذا اشتراك السكان القاطينين الحواف الجنوبية للاوراس و سكان الحواف الجنوبية للشطوط في الثورة سنة 546 م وهو ما لا يشهد من وجهة نظر المؤرخ المذكور على سيطرة بيزنطية فعلية و جعله يميل الى القول ان البيزنطينيين لم يتمكنوا لا في المزاق و لا في نوميديا من مد الليمس اكثر مما كان عليه الليمس الروماني في القرن الاول للامبراطورية باستثناء منطقة الحضنة .

اما في موريطانيا السطايفية التي يتحدث بروكوبيوس عن احتلالها من طرف سليمان بعد حملة 539 م ، فاننا لا نعرف بالضبط مناطق النفوذ البيزنطي فيها ، و كل ما نعرفه هو احتلالهم للمناطق الشمالية من الحضنة حيث انشأوا الى الغرب من مسيلة قلعة زابي يوستينيانا Zabi Jutiniana و تمتد الحدود ربما مع وادي القصب لتصل الى هضبة مجانة و منها الى بجاية (صلداي) .

و خلافا لموريطانيا السطايفية ، فان موريطانيا القيصرية لم تخضع اطلاقا للبيزنطيين ، وفق ما اكده لنا بروكوبيوس سنة 540 م حيث قال :" في موريطانيا الثانية يقطن ماستيقاس Mastigas مع قبائله المورية ، و كانت تحت سلطته البلاد كلها ، باستثناء قيصرية ، التي كان البيزنطيون لا يتصلون بها الا عن طريق البحر ، و لا يستطيع سلوك البر ، لان المور يسيطرو على كل هذه المنطقة" وهو أيضا شأن مورطانيا الطنجية و التي اكتفى فيها البيزنطيون بسبتة و ربما طنجة .

6- انهيار الحكم البيزنطي في بلاد المغاربة

هناك مجموعة من الاسباب و العوامل ساهمت في انهيار و زوال السلطة البيزنطية من البلاد المغاربية ، يمكننا ايجازها في مايلي:

1-تفشي الفوضى و الفساد في الادارة البيزنطية وهو ما يمكن تحسسه في المحاولات العديدة التي بذلها بوستينيانوس للحد من وطأة السطو على املاك الدولة و الاتباع ، وجشع الولاة و الاداريين ، الذين ابتزوا الاهالي ، لكن بدون جدوى ، و هو دليل على استفحال هذه الظاهرة التي تفاقمت في عهد خلفائه ، لتصل اوجها في السنوات الاخيرة من حكم ايراكليوس و خلقائه الضعاف ، الذين اصبح الولاة و الادواق في عهدهم لا يستجيبون لاوامر الادارة المركزية ، حتى في مسائل الدفاع ، مثال ذلك ما حدث حوالي سنة 634 م مع بيير Pierre حاكم برقة ، الذي رفض الاستجابة لامر القسطنطينية ، و كذا جورج سنة 641 م عندما رفض العمل بتوجيهات السلطة المركزية .

2-افلاس الخزينة : تسببت حروب الامبراطورية المستمرة في الشرق و الغرب ما تتطلبه من تجنيد ، و اقامة التحصينات و المباني العسكرية في افلاس الخزينة، و عجز الدولة عن دفع اجور الجيش في العديد من المناسبات، و هو ما أدى الى العديد من التمردات في صفوفه، و قد حاولت الدولة حل المشكل باللجوء الى فرض المزيد من الضرائب على الأهالي الذين ضاقوا ذرعا، و امتنعوا بدورهم عن دفع الضرائب منذ اواخر عهد هيراكليوس لى ما يذكر ابن خلدون، الذي يفهم منه أيضا ان البيزنطينيين تراجعوا كثيرا امام تقدم الاهالي، و اكتفوا ببعض الحاميات في المدن الكبرى.

3- ثورات الاهالي: بعد القضاء على الوندال، اصطدم البيزنطيون بمقاومة الاهالي، و هي المقاومة التي استمرت طيلة الحكم البيزنطي. و رغم الانتصارات التي كانت تحققها الجيوش البيزنطية الناتجة اساسا على الخلافات في صفوف قادة الاهالي، غير ان هذه الانتصارات لم تكن حاسمة، لدرجة ان الاهالي كانوا سرعان ما يعودون بقوة و يهددون حتى قرطاجة نفسها، مما يدل على تزعزع النفوذ البيزنطي في المنطقة.

4-الجدل الديني: اذا كان مجمع خلقدوقية سنة 451 قد حرص على التنديد بالنسطورية القائلة بثنائية الذات الالهية و البشرية، و ان مريم هي ام للانسان لا الاله، كما ندد ببدعة يوتيشاس (Eutyches)، فان ذلك لم يضع حدا للجدل، اذ سرعان ما ظهرت مشكلة الفصول الثلاثة، التي حاول يوستينيانوس التشهير بها، و تلتها الاضطرابات الناتجة عن القول بالطبيعة الواحدة للمسيح. فكان التدخل الاباطرة في المسائل الدينية، ومساندتهم لدعاة الطبيعة الواحدة وقع سيء في نفوس الارثودوكس، و خلق نوعا من عدم الرضا_ العام، شجع جرجيريوس (Grégoire) على الانفصال عن الامبراطورية.

في هذا الوقت بالذات، كان المسلمون على الابواب، فبعد فتح مصر و برقة، جاء دور افريقية، التي ستضع في معركة سبيطلة(647م) حدا لجرجيريوس و معه السلطة البيزنطية، و بذلك تدخل بلاد المغرب عهدا جديدا تعرف فيه تحولا عميقا تختفي معه افريقيا القديمة.

بعض المراجع المستعملة

1 - باللغة العربية

- حارش (محمد الهادي) مملكة نوميديا : دراسة حظارية منذ اواخر القرن التاسع الى منتصف القرن الاول قبل الميلاد ، دار هوهة ، الجزائر 2013

- حارش (محمد الهادي) التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول (203-46 ق.م) دار هوهة . الجزائر 1596

- حارش (محمد الهادي) التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري (منذ فجر التاريخ في الفتح الى الفتح الاسلامي المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر 1995

- جوليان (شارل اندري) تاريخ افريقيا الشمالية الجزء الأول – تعريب محمد مزالي و بشير سلامة – الدار التوسية للنشر (تونس 1969)

- شنيتي (محمد البشير) ، نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ضل الاحتلال كنوز الحكمة للنشر و التوزيع الجزائر 2012

- شنيتي (محمد البشير) سياسة الرومنة (من سقوط قرطاج الى سقوط موريطانيا) عاصمة الجزائر 1974

- شنيتي (محمد البشير) الجزائر في ضل الاحتلال الروماني الجزائر 1999

2 - المراجع باللغة الاجنبية

- Comps (G), Aux Origines de la berberie Monuments et Rites Fanéraines prats, Historique , Alger 1961.

-Comps (G), Les berbères aux marges de l’histoire

-Gsell (St) Histoire ancienne de l’Afrique du nord (8 vals), Ed : Hachette, (Paris 1913-28)

-Saumagne (CH), La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, RUF, Paris, 1966

-Courtois (CH), les Vandales et l’Afrique, Paris, 1955

-Diehl(CL), l'Afrique byzantine : histoire de la domination byzantine en Afrique(533-709), Paris, 1896

-Lassere(JM) Ubique Populus, peuplement et mouvement de la population dans l'afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dyneaste des severes,(146a.e – 235